كيف سقطت الدولة العثمانية

إعداد
سليمان بن صالح الخراشي

دار القاسم

كيف سقطت الدولة العثمانية؟

إعداد

سليمان بن صالح الخراشي

دار القاسم للنشر

الرياض : ١١٤٤٢ ـ ص . ب ٦٣٧٣

ت : ٤٧٧٥٣١١ ـ فاكس : ٤٧٧٤٤٣٢

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ

ⓗ دار القاسم للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠ هـ

فهرسة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخراشي ، سليمان صالح

كيف سقطت الدولة العثمانية - الرياض .

٩٦ ص ؛ ١٢ × ١٧ سم

ردمك : ٩ - ١٥٣ - ٣٣ - ٩٩٦٠

١ - الدولة العثمانية - تاريخ - عصر الضعف أ - العنوان

ديوي ٩٠ ، ٩٥٣ ٠٤٥٢ / ٢٠

رقم الإيداع : ٠٤٥٢ / ٢٠

ردمك : ٩ - ١٥٣ - ٣٣ ٩٩٦٠

الصف والمراجعة والإخراج بدار القاسم للنشر

تلفون: ٤٧٧٥٣١١ - فاكس: ٤٧٧٤٤٣٢

المملكة العربية السعودية - ص.ب: ٦٣٧٣ - الرياض: ١١٤٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

ففي هذه الصفحات التي بين يديك ـ أخي المسلم ـ تفاصيل مأساة عظيمة حلت بديار المسلمين في هذا القرن، لم يشهدوا مثيلاً لها طوال تاريخهم منذ أن قامت دولة المدينة بقيادة رسول الله ﷺ إلى بدايات هذا القرن الذي حلَّت فيه هذه المأساة أو الكارثة.

وهذه المأساة هي سقوط آخر دولة حملت شعار الخلافة الإسلامية، التي ظلت ـ أي الخلافة ـ شامخة طوال القرون الماضية، لا يدور في خُلْد مسلمٍ أن يأتي زمانٌ تسقط فيه، نظراً لوجوبها على المسلمين، ولقدسيتها في أعينهم فهي قد ظلت في حصنٍ منيع لا

يجرؤ أحد على المساس بها، وإنما كانت تتنقل بين ديار المسلمين تبعاً لتنوع الدول الإسلامية التي رفعت رايتها، فمرةً تكون الخلافة في المدينة، ومرة في الكوفة، وأخرى في دمشق أو في بغداد، وهكذا، المهم أنها لم تسقط حتى في حال ضعف المسلمين.

ومما يدل لهذا أن المغول لما هاجموا الدولة الإسلامية ودخلوا بغداد وقتلوا الخليفة معلنين سقوط خلافة المسلمين، قام المسلمون في الوقت ذاته برفع راية الخلافة في مكان آخر، وهو مصر، معلنين عن استمرار رمز الخلافة الجامع للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

أما في هذا القرن فقد تآمر على خلافة المسلمين أعداء كثيرون، من اليهود والنصارى والمنافقين مستغلين ضعف آخر دولة حملت راية الخلافة، أعني الدولة العثمانية، حتى أجهزوا في ليلة ظلماء على هذه الراية الخفاقة التي أصاب المسلمين من جراء سقوطها الذهول

والحيرة والألم، حيث نزل هذا الخبر على آذانهم كالصاعقة، وخير من يصور هذا الموقف أمير الشعراء أحمد شوقي الذي عاصر تلك الأحداث حيث يقول واصفاً سقوط الخلافة بقوله[١]:

عادت أغاني العرسِ رَجْعَ نُواحِ
ونُعيتِ بين معالم الأفراحِ
كُفِّنتِ في ليلِ الزفاف بثوبه
ودفُنتِ عند تبلُّج الإصباحِ
شُيِّعتِ من هَلَعٍ بَعبْرةِ ضاحك
في كلِ ناحيةٍ، وسكرة صاحِ
ضجَّتْ عليك مآذنٌ، ومنابرٌ
وبكت عليك ممالكٌ، ونواحي
الهندُ والهةٌ، ومصرُ حزينةٌ
تبكي عليك بمدمعٍ سَحَاحِ

---

(١) الشوقيات (١/ ٨٨).

والشـــامُ تســـألُ، والعـــراق، وفـــارسٌ
أمَحَـــا مـــن الأرض الخـــلافـــة مـــاحِ؟

ولقد ساعد الأعداء في تحقيق مبتغاهم هذا ما حلَّ بالدولة العثمانية من خَوَرٍ وتمزق نتيجة لبعدها عن تعاليم الإسلام التي جاءت في الكتاب والسنة، إضافة إلى تكالب الأعداء عليها.

فمن تأمل تاريخ العثمانيين يدرك أن السبب الرئيسي لسقوطهم هو ابتعادهم تدريجياً عن العقيدة السلفية الصافية التي جاء بها الكتاب والسنة، واستبدالها بعقائد الخرافيين والقبوريين من حاملي لواء التصوف، ويتضح هذا من خلال معاداتهم الصريحة لدعوة التوحيد التي جددها الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى حد إرسال الجيوش الكثيفة لإبادة دعوته وإهلاكها، لكي لا تقوم لها قائمة.

وقد كان الأولى بهم أن يستفيدوا من هذه الدعوة المباركة، ويساندوها في القضاء على مظاهر الوثنية التي

دبت في دولتهم لكي تعود فتية من جديد، ولكي يحظوا بنصر الله الذي وعد به أولياءه، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾[١]، وقال: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾[٢].

فلو قَدَّر الله عز وجل للعثمانيين مناصرة هذه الدعوة الإصلاحية لكان لدولة الإسلام شأن عظيم دينياً ودنيوياً، ولكنهم أبوا ذلك وآثروا تقريب رموز التصوف[٣] ورضوا

(١) سورة محمد، الآية: ٧.
(٢) سورة النور، الآية: ٥٥.
(٣) كأبي الهدى الصيادي، رمز الطريقة الرفاعية الصوفية، الذي استحوذ على السلطان عبدالحميد حتى صرفه إلى مناصرة التصوف بدلاً من عقيدة السلف الصالح، فكانت النتيجة ما تقرأه في هذا الكتاب.

بأن يكونوا من حماة العقائد الخرافية التي بثتها العقول الفاسدة، وهم بفعلهم هذا قد خسروا الدين والدنيا معاً، خسروا الدين لأنهم ناصبوا العداء لأهله ولدعاته. وخسروا الدنيا لأنهم انساقوا مع دعوات أهل التصوف الباطلة التي تدعو إلى الشرك وإلى التواكل، وعدم الاهتمام بالتقدم الدنيوي والحضاري، فتفاجؤا أخيراً بأن أعداء المسلمين من النصارى قد سبقوهم بشوطٍ كبير في هذا المجال الذي سخروه لخدمة دينهم، وللتسلط على ديار المسلمين، أما الدولة العثمانية فقد كانت غارقة إلى آذانها في وحل التصوف والخرافة، لاهيةً قلوبهم عن أسباب التقدم العلمي، حتى ضاعوا وأضاعوا ديار الإسلام مورثين خلفهم دولاً متمزقة قد عمَّها التخلف، ثم جاءها الاستعمار فزادها سوءً وتخلفاً، لازلنا نعيش آثاره إلى اليوم.

إذاً فالسبب الحقيقي لسقوط دولة العثمانيين هو تنكرها لدعوة التوحيد ومعاداتها أهله، وقد قال ﷺ:

«من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»(١).

فهي بفعلها هذا قد خسرت نصر الله الذي وعده لأوليائه، فخاضت حروبها مع الأعداء متخلية عن المدد الرباني، فكانت فرصة لأعداء الإسلام من اليهود والنصارى أن يسلبوها ملكها، ويمزقوها شرَّ ممزَّق.

وأنا لا أقول هذا تشمتاً بهذه الدولة التي كانت دولة عسكرية قوية في قلب أوربا، وكانت شجىً في حلوق بقايا الصليبيين، وإنما أقوله لكي نأخذ العبرة منه، فنعلم أن سنن الله جاريةٌ في الدول والأفراد، وأنه لا نصر لنا ولا عزَّ لدولنا إلا بإقامة أحكام الإسلام (كاملة) كما كانت في زمن الرسول ﷺ وأصحابه، دون اتباعٍ لهوى أو بدعة أو شركيات ما أنزل الله بها من سلطان.

ختاماً: فإن تفاصيل هذه المأساة ـ كما سيأتي ـ هي

---

(١) أخرجه البخاري (١١/٢٩٢، ٢٩٥) في الرقاق: باب التواضع.

عبارة عن فصل من فصول رسالة بعنوان (الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد) للدكتور مفرح بن سليمان القوسي[(١)].

أحببت نشرها وتقريبها بين أيدي شباب الإسلام، ليعلموا كيف كانوا، وإلى أين صاروا، فيحذروا مكايد أعداء الله الذين يتربصون بكل دولة تحكم بشرع الله، وتأتلف عليها القلوب.

والله أسأل أن يجمع شمل المسلمين على عقيدة السلف، وأن يؤلف بين قلوبهم، وأن يوحد صفوفهم في مواجهة أعدائهم من اليهود والنصارى والمنافقين.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) الطبعة الأولى ١٤١٨هـ عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (ص١٦ ـ ٥٧). وقد علقتُ على ما يلزم التعليق عليه، وحذفت أشياء يسيرة.
قلت: وللأستاذ محمدي عبدالمجيد الصافوري كتاب مفيد بعنوان (سقوط الدولة العثمانية وأثره على الدعوة الإسلامية) ولكن فاته أن يذكر من أسباب سقوطها: الانحراف عن عقيدة السلف، بل محاربتها!

العثمانيون:

لقد شاد سلاطين الدولة العثمانية وهم من أسرة آل عثمان ـ التي كانت أكبر عائلة إسلامية عرفها التاريخ ـ الدولة العثمانية، ودافعوا عن الإسلام دفاعاً قوياً، وزادوا في رقعته وفي عدد معتنقيه[١]. وقد كانت منذ بدء قيامها وحتى سقوطها دولة متفرغة لتأييد سلطة الإسلام وعقيدته متأهبة للدفاع عنهما[٢]، وظلت متماسكة تدفع عن العالم الإسلامي عادية الاستعمار الغربي مئات السنين حتى في الوقت الذي بدأت أعراض المرض والوهن تدب فيها، فقد منعت أوربا وخاصة

(١) انظر: محمد مصطفى صفوت ـ الجمهورية الحديثة ص١٤٣.

(٢) الحق أن الدولة العثمانية لم تهتم بنشر عقيدة التوحيد وإنما نشرت التصوف ـ خاصة في السنوات الأخيرة من عمرها ـ مما عجَّل بسقوطها كما سبق.

بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية من التهام العالم العربي، ومنعت جزر البحر الأبيض المتوسط من السقوط في أيدي هذه الدول.(١)

يقول الأستاذ محمد فريد بك المحامي (١٨٦٨م ـ ١٩١٩م) في وصفه للدولة العثمانية: «قامت الدولة العلية بحياطة هذا الدين فكانت من المفلحين، ثم وقفت في طريق أوربا حاجزاً منيعاً وسوراً حصيناً وحالت دون أطماعها وألزمتها بكف غاراتها بأنواعها، ثم اهتمت بالإصلاح وسعت في تأييد النظام فصار لها بين الدول المقام الأول والرأي الراجح والقول النافذ فكانت لا يضاهيها دولة من الدول بما أحرزته من الأملاك الواسعة في قارات أوربا وآسيا وافريقيا»(٢).

وفي نهاية القرن الثامن عشر الميلادي كانت الدولة

---

(١) انظر: عبد الكريم مشهداني ـ العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية في تركيا ص٣٣ و٣٥.

(٢) تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٢١.

العثمانية قد بدأت في الانحدار والتقهقر أمام هجمات الدول الغربية المستعمرة، وبدأت الخسائر والهزائم تتوالى عليها من كل جانب حتى بلغ بها الوهن والضعف مبلغاً شديداً ولا سيما في مجالات العلم والمعرفة، حيث تعثرت الحياة الثقافية فلم تعرف أي إضافات جديدة في ميادين الفكر والثقافة. في حين أن أوربا قد أثبتت تفوقها في مختلف الميادين الفكرية الصناعية والزراعية وكانت ترتقي يوماً بعد يوم في الفنون الحربية والنظم الإدارية مما جعل الدولة العثمانية في ذلك الوقت تفكر في إيجاد طريقة ناجحة تتمكن بها من اللحاق بالدول الغربية في الرقي والتقدم كي تستطيع الوقوف في وجهها وصد هجماتها المتوالية، فرأت أن الطريق السليم هو العمل على إصلاح الدولة في مرافقها الداخلية.

وقد تولى أمر السلطنة في تلك الفترة السلطان سليم الثالث (١٧٦٢م ـ ١٨٠٨م) الذي كان متوثباً للإصلاح، فعمل على إصلاح أمور الدولة الداخلية ولا سيما

العسكرية والبحرية وتسليحها بالأسلحة الحديثة، لكن طائفة الانكشارية(١) بطشت به والإصلاح ما يزال في

(١) الانكشارية اسم يطلق على فرق المشاة النظاميين التي كونها الترك العثمانيون في القرن الرابع عشر الميلادي، وأصبحت أكبر قوة عندهم مكنتهم من الفتوحات الواسعة التي قاموا بها في ذلك القرن وفي القرون التالية. وقد اتبعوا من أول أمرهم الطريقة الصوفية التي أسسها الحاج «بكتاش» وتسمى «بالبكتاشية». وأصبح لهم سلطة كبيرة في الدولة في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وانتشر فيهم الضعف والفوضى والفساد، واستشرى خطرهم في البلاد، فاعتدوا على الأهالي بالسلب والنهب، فاعتدوا على السلاطين والصدور العظام والوزراء بالعزل والقتل. وأصبحوا عالة على الدولة بعد أن كانوا من عوامل تقدمها. قضى عليهم السلطان محمود الثاني في مذبحة كبيرة جرت في الآستانة في ذي القعدة ١٢٤٠هـ/ يونيو١٨٢٦م.
انظر كلاً من: دائرة المعارف الإسلامية جـ٣ ص٧٦ ومابعدها.
والموسوعة العربية الميسرة جـ١ ص٢٤٩.

مهده، ثم اتسعت حركة الإصلاح في الدولة في بداية القرن التاسع عشر في عهد السلطان محمود الثاني (١٧٨٥م ـ ١٨٣٩م) الذي عمد إلى الإصلاح[١] من الوجهة الإدارية والعسكرية، وقضى على الانكشارية العقبة الكأداء في طريق الإصلاح المنشود، وشرع في تكوين جيش جديد على الطراز الأوربي الحديث، وأخذ يبعث بمنشورات الإصلاح إلى الولاة والحكام، ولكنه توفي قبل أن ينهي شيئاً من فروع الإصلاح إلا تنظيم الجند تنظيماً غير تام[٢].

---

(١) كان لمصطفى رشيد باشا وعالي باشا وفؤاد باشا ومدحت باشا دور كبير في انتشار حركة الإصلاح في الدولة العثمانية.

(٢) انظر كلاً من: د. عبد العزيز نوار ـ الشعوب الإسلامية ص١٨٠.
ومحمد فريد بك المحامي ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٧٠١.

ولما تولى السلطان عبد المجيد الأول(١٨٢٢ ـ ١٨٦١م) السلطنة سار على خطة والده السلطان محمود الثاني في الإصلاحات الداخلية، حيث استهل عهده بإصدار أول دستور للبلاد نُشرت فيه مراسم التنظيمات المعروفة بـ (خط كلخانة) في ٢٦ شعبان ١٢٥٥هـ/ ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٣٩م الذي سُميت نصوصه بـ(التنظيمات الخيرية)، حدد فيها طرق الإصلاح الجديدة، وبيَّن قواعدها وفي مقدمتها الحرية الشخصية والحرية الفكرية، وتسوية غير المسلمين بالمسلمين[1]، «لكن شغلته عن إتمام هذه الإصلاحات [الحرب الروسية] التي قامت بسبب اختلاف فرنسا وروسيا على حماية الأماكن المقدسة بـ [القدس] ودُعيت بحرب القرم»[2]، ولما انتهت الحرب أصدر خطاً آخر في

---

(١) لايجوز تسوية غير المسلمين بالمسلمين بهذا الاطلاق، فهم لا يساوونهم في كثير من الأمور، وليس هذا موضع تفصيلها.

(٢) محمد فريد بك المحامي ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ٤٨٤ .

جمادى الآخرة ١٢٧٢هـ/ شباط (فبراير) ١٨٥٦م، وقد عُرف بخط (همايون) وهو تأكيد لما جاء في خط (كلخانة) مع إضافات جديدة تتعلق بحقوق النصارى والتنظيمات الإدارية الجديدة.

ولما تولى السلطان عبد العزيز (١٨٣٠م ـ ١٨٧٦م) السلطنة قام أيضاً بإصلاحات داخلية.

منها: سن قانون الأراضي سنة ١٢٧٤هـ وقانون الجزاء سنة ١٢٧٤هـ وقانون الطابو سنة ١٢٧٥هـ.

ومنها: وضع (مجلة الأحكام العدلية الشرعية) في محرم ١٢٨٦ هـ/ آيار (مايو) ١٨٦٧م من قِبَل لجنة تألفت من أعاظم الأساتذة العثمانيين الشرعيين[١].

وقد حاول مدحت باشا[٢] إقناع السلطان عبد العزيز

---

(١) انظر: المرجع السابق ص٧٠٢.

(٢) أحمد مدحت باشا، من أعضاء جمعية (تركيا الفتاة) البارزين، ولد في استانبول سنة ١٨٢٢م، تقلد عدة =

بوضع دستور للدولة مشتق من النظم الغربية وألحَّ عليه في ذلك، فما كان من السلطان إلا أن أصدر أوامره بعزله من الوزارة وإبعاده، لكنه مالبث أن عاد إلى الآستانة وعمل خلع السلطان[1] ثم دبر بعد ذلك إغتياله في قصره.

ثم عمل على تولية السلطان مراد الخامس (١٨٤٠ ـ ١٩٠٤م) عرش السلطنة، ثم خلعه أيضاً باستصدار فتوى من شيخ الإسلام باضطرابه العقلي.

= مناصب في أنحاء الدولة العثمانية، ولما تولى السلطان عبدالحميد الثاني السلطة عيَّنة صدراً أعظم، ثم مالبث أن عزله في ٥شباط (فبراير) ١٨٧٧م، ثم نفي إلى الطائف ومات بها في ظروف غامضة.
انظر: د. عبدالعزيز الشناوي ـ الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها جـ١/ص١١٠ ـ ١١١.

(١) انظر: د. علي حسون ـ تاريخ الدولة العثمانية ص١٦٤.

السلطان عبد الحميد الثاني:

ثم تولى الخلافة السلطان عبد الحميد الثاني[١] في ١١ شعبان١٢٩٣هـ/ ٣١آب (أغسطس) ١٨٧٦م وتبوأ عرش السلطنة والبلاد يومئذ على أسوأ حال، حيث كانت في منتهى السوء والاضطراب سواء في ذلك الأوضاع الداخلية والخارجية.

---

(١) عبدالحميد بن عبدالمجيد الأول، السلطان الرابع والثلاثون من السلاطين العثمانيين، ولد يوم الأربعاء ١٦ شعبان ١٢٥٨هـ/ ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٨٤٢م، تعلّم اللغتين العربية والفارسية ودرس كثيراً من الكتب الأدبية على أيدي أساتذة متخصصين، قدّم خدمات كثيرة للدولة العثمانية في مختلف المجالات، ويعتبر أبرز سلطان لهم في عصر انحطاط الدولة. تُوفِّيَ في ٢٧ ربيع الثاني ١٣٣٦هـ/ ١٠ شباط (فبراير) ١٩١٨م إثر نزيف داخلي عن عمر يناهز الثامنة والسبعين.
انظر: مقدمة كتاب (السلطان عبدالحميد الثاني - مذكراتي السياسية) ص١١ وما بعدها.

أما الأوضاع الخارجية فقد اتفقت الدول الغربية على الإجهاز على الدولة التي أسموها «تركة الرجل المريض»، ومن ثم تقاسم أجزائها، هذا بالإضافة إلى تمرد البوسنة والهرسك الذين هزموا الجيش العثماني وحاصروه في الجبل الأسود، وإعلان الصرب[(١)] الحرب على الدولة بقوات منظمة وخطرة، وانفجار الحرب الروسية الفظيعة التي قامت سنة ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م، وضغط دول الغرب المسيحية على الدولة لإعلان الدستور وتحقيق الإصلاحات في البلاد، بالإضافة إلى قيام الثورات في بلغاريا بتحريضٍ ومساعدة من روسيا والنمسا.

وأما الأوضاع الداخلية: فقد أفلست خزينة الدولة

(١) البوسنة والهرسك والجبل الأسود والصرب هذه المناطق كانت تابعة للدولة العثمانية ثم صارت من ضمن الجمهوريات اليوغسلافية ثم استقلت أخيراً.

وتراكمت الديون عليها حيث بلغت الديون ما يقرب من ثلاثمئة مليون ليرة، كما ظهر التعصب القومي والدعوات القومية والجمعيات ذات الأهداف السياسية بإيحاء من الدول الغربية المعادية ولا سيما انجلترا، وكانت أهم مراكز هذه الجمعيات في بيروت واستانبول، وقد كان للنصرانية دورها الكبير في إذكاء تلك الجمعيات التي أنشئت في بيروت والتي كان من مؤسيها بطرس البستاني (١٨١٩م - ١٨٨٣م) وناصيف اليازجي (١٨٠٠م - ١٨٧١م).

وأما الجمعيات التي أنشئت في استانبول فقد ضمت مختلف العناصر والفئات، وكان لليهود فيها دور كبير خاصة يهود الدَوْنَمة(١)، ومن أشهر هذه الجمعيات

(١) الدَونمة: كلمة تركية تعني المرتد، والزنديق، الكاذب فيما يزعم اعتقاده، وهي عَلَم على جماعة من اليهود هاجرت من الأندلس بعد زوال حكم المسلمين فيها واستقرت في ربوع الدولة العثمانية تنعم بالحياة الآمنة =

«جمعية تركيا الفتاة» التي أُسست في باريس وكان لها فروع في برلين وسلانيك واستانبول، وكانت برئاسة أحمد رضا بك[1] الذي فُتن بأوربا وبأفكار الثورة

= المطمئنة، وهم أتباع اليهودي «ساباتاي زفي» المسيح المزيف الذي ظهر في الدولة العثمانية في منتصف القرن السابع عشر وادعى أنه المسيح المنتظر الذي سيأخذ بيد اليهود ويؤسس لهم دولة في فلسطين ومنها يسودون العالم، اعتنق كثير منهم الإسلام ظاهراً منذ عام ١٦٨٣م وأخفوا يهوديتهم واتخذوا لهم أسماء إسلامية. وقد وجهوا اهتمامهم إلى ناحيتين للوصول إلى أهدافهم:
أ ـ السيطرة على أجهزة الإعلام.
ب ـ احتلال المناصب المهمة في الأجهزة الحكومية.
انظر كلاً من: محمد صفوت السقا وسعدي أبو حبيب ـ الماسونية ص١٥٧.
ود. محمد عمر ـ يهود الدونمة ص٧ ـ ٨.

(١) من الأعضاء البارزين في جمعية تركيا الفتاة، ولد في استانبول سنة ١٨٥٩م وتلقى علومه في (جالاطه سراي)، وفي سنة ١٨٨٩م سافر إلى باريس وأقام فيها، =

الفرنسية. وقد كانت هذه الجمعيات تُدار بأيدي الماسونية العالمية.

ومن الأمور السيئة في الأوضاع الداخلية أيضاً: وجود رجال كان لهم دور خطير في الدولة قد فُتنوا بأوربا وبأفكارها، وكانو بعيدين عن معرفة الإسلام، ويتهمون الخلفاء بالحكم المطلق ويطالبون بوضع دستور للدولة على نمط الدولة الأوربية النصرانية[1] ويرفضون العمل

= وتأثر كثيراً بالآراء الفلسفية ل«بيير لافيت» و«أوجست كونت»، أصدر بالتعاون مع خليل غانم جريدة نصف شهرية باللغتين التركية والفرنسية باسم «مشورت»، وكان أول رئيس لأول مجلس نيابي في الدولة بعد أن أعيد العمل بالدستور سنة١٩٠٨م.

انظر كلاً من: د. عبدالعزيز الشناوي ـ الدولة العثمانية جـ٣/ ١٥٨٩.

وساطع الحصري ـ البلاد العربية والدولة العثمانية ص١٠٥ ـ ١٠٦.

(١) أمثال مدحت باشا وغيره.

بالشريعة الإسلامية.

«ولم يقتصر عمل الدول الغربية تجاه الدولة العثمانية على التآمر عليها والحروب معها واقتطاع أجزاء منها ومحاولة إنهائها فحسب... بل كانوا يعملون جادين في الجبهة الداخلية لتقويض الدولة من الداخل كذلك»(١).

ويتضح لنا ذلك جلياً عند مطالعة مذكرات السلطان عبدالحميد التي قال فيها: «وكما استغل الانجليز غفلة أعضاء تركيا الفتاة عن طريق المحافل الماسونية؛ بدأ الألمان يفعلون هذا مع الفريق الأخر منهم وعن طريق المحافل الماسونية أيضاً. وبهذا الشكل سيطر الألمان على تشكيل تركيا الفتاة في سالونيك(٢)، وسيطر

(١) مصطفى محمد ـ الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا ص٤٩.

(٢) سالونيك: مدينة رومية قديمة جداً، تقع جنوب بلاد مقدونية على بحر الأرخبيل، كانت تسمى (ترما) ثم أطلق عليها اسم (تسالونيك) ثم حرف إلى (سالونيك) =

الانكليز على تشكيل تركيا الفتاة في مناستر[١]، كان الانجليز يثيرون عليَّ اتحاديي مناستر، ويثير الألمان عليَّ اتحاديي سالونيك. كانوا يعملون على قيام انقلاب للاستيلاء على الدولة من الداخل...»[٢].

وفي وسط هذه التيارات والأمواج المتلاطمة تقلد السلطان عبدالحميد الحكم، وكان عليه أن يسير بالدولة إلى شاطئ النجاة والأمان دون أن يعرضها للخطر. وقد أدرك أهداف الأعداء وأطماعهم، فتحمل المسئولية بكل قوة وحكمة وبدأ في العمل بكل أناة وروية وفق السياسة

= أو (سلانيك). انظر: محمد فريد بك المحامي ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية ص١٣٣.

(١) مناستر: بلدة يوغسلافية، تسمى اليوم (بيتولا) وتقع بالقرب من الحدود اليونانية الألبانية.
انظر: المرجع السابق.

(٢) مذكرات السلطان عبدالحميد ـ ترجمة محمد حرب ص٦٩.

الآتية: ـ

أولاً: حاول كسب بعض المناوئين له واستمالتهم إلى صفه بكل مايستطيع.

ثانياً: دعا جميع مسلمي العالم في آسيا الوسطى وفي الهند والصين وأواسط إفريقيا وغيرها إلى الوحدة الإسلامية والانضواء تحت لواء الجامعة الإسلامية، ونشر شعاره المعروف (يا مسلمي العالم اتحدوا)(١)، وأنشأ مدرسة للدعاة سرعان ما انبث خريجوها في كل أطراف العالم الإسلامي الذي لقي منه السلطان كل القبول والتعاطف والتأييد لتلك الدعوة، لكن قوى الغرب قامت لمناهضة تلك الدعوة

---

(١) شعار جميل وذكي من السلطان، لكنه فقد جدواه وأهميته لأنه لم ينادِ بتوحيد المسلمين على منهج السلف الصالح في العقيدة، وإنما دعا فيه إلى مزج السني بالبدعي، فلهذا لم يعش هذا الشعار طويلاً، ولم يثمر.

ومهاجمتها[١].

ثالثاً: قرَّب إليه الكثير من رجال العلم والسياسة المسلمين واستمع إلى نصائحهم وتوجيهاتهم.

رابعاً: عمل على تنظيم المحاكم والعمل في «مجلة الأحكام العدلية» وفق الشريعة الإسلامية[٢].

خامساً: «قام ببعض الإصلاحات العظيمة مثل القضاء

---

(١) كان أقوى من هاجم الدعوة إلى الجامعة الإسلامية كرومر أحد دهاقنة الاستعمار الانجليزي الذي حمل على فكرة الجامعة الإسلامية، ودعا الدول الأوربية في تحريض سافر إلى التجمع للوقوف في وجه هذه الدعوة. وهاجمها هانوتو المستشرق الفرنسي، وقالوا عنها إنها بؤرة التعصب الديني، وأنه ليس القصد منها إلا تحدي الدول الغربية المسيحية.
انظر: عبد الكريم مشهداني ـ العلماينة وآثارها على الأوضاع الإسلامية في تركيا ص١٤١.

(٢) انظر: محمود شاكر ـ التاريخ الإسلامي جـ٨ العهد العثماني/ ص١٨٦.

على معظم الإقطاعات الكبيرة المنتشرة في كثير من أجزاء الدولة، والعمل على القضاء على الرشوة وفساد الإدارة»[١].

سادساً: عامل الأقليات والأجناس غير التركية معاملة خاصة كي تضعف فكرة العصبية وغض طرفه عن بعض إساءاتهم، مثل الرعب الذي نشرته عصابات الأرمن، ومثل محاولة الأرمن مع اليهود اغتياله أثناء خروجه لصلاة الجمعة وذلك لكي لا يترك أي ثغرة تنفذ منها الدوله النصرانية للتدخل في شؤون الدولة[٢].

سابعاً: عمل على سياسة الإيقاع بين القوى العالمية آنذاك لكي تشتبك فيما بينها وتسلم الدولة من شرورها، ولهذا حبس الأسطول العثماني في الخليج ولم يخرجه حتى للتدريب.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: المرجع السابق ص١٨٦ ـ ١٨٧.

ثامناً: اهتم بتدريب الجيش وتقوية مركز الخلافة.

تاسعاً: حرص على إتمام مشروع خط السكة الحديدية التي تربط بن دمشق والمدينة المنورة لِمَا كان يراه من أن هذا المشروع فيه تقوية للرابطة بين المسلمين، تلك الرابطة التي تمثل صخرة صلبة تتحطم عليها كل الخيانات والخدع الانكليزية، على حد تعبير السلطان نفسه[(١)].

السلطان عبدالحميد واليهود:

لما عقد اليهود مؤتمرهم الصهيوني الأول في(بال) بسويسرا عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م برئاسة هرتزل (١٨٦٠م ـ ١٩٠٤م) رئيس الجمعية الصهيونية، اتفقوا على تأسيس وطن قومي لهم يكون مقراً لأبناء عقيدتهم وأصر هرتزل على أن تكون فلسطين هي الوطن القومي لهم،

---

(١) راجع: مذكرات السلطان عبد الحميد ص٨، ولقد تم إنجاز هذا المشروع بسرعة على الرغم من مناهضة أوربا له.

فنشأت فكرة الصهيونية، وقد اتصل هرتزل بالسلطان عبدالحميد مراراً ليسمح لليهود بالانتقال إلى فلسطين، ولكن السلطان كان يرفض، ثم قام هرتزل بتوسيط كثير من أصدقائه الأجانب الذين كانت لهم صلة بالسلطان أو ببعض أصحاب النفوذ في الدولة، كما قام بتوسيط بعض الزعماء العثمانيين لكنه لم يفلح[١]، وأخيراً زار السلطان عبدالحميد بصحبة الحاخام (موسى ليفي)[٢]و(عمانيول قره صو)[٣] رئيس الجالية اليهودية في سلانيك، وبعد

---

(١) انظر: محمود شاكر ـ التاريخ الإسلامي جـ٨ العهد العثماني/ ص٢٠٠ ـ ٢٠١.

(٢) ولد سنة ١٢٤١هـ/١٨٢٦م، حمل لقب (حاخام باشي)، وهو اللقب الرسمي لكبير حاخامي اليهود في الدولة العثمانية فيما بين عامي ١٨٧٤ ـ ١٩٠٨م، مات سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م.
انظر: أنيس صايغ ـ يوميات هرتزل ص٥١٨.

(٣) يهودي أسباني الأصل، من أوائل المشتركين في جمعية (تركيا الفتاة) عمل في المجلس النيابي العثماني نائباً عن=

مقدمات مفعمة بالرياء والخداع أفصحوا عن مطالبهم، وقدَّموا له الإغراءات المتمثلة في إقراض الخزينة العثمانية أموالاً طائلة مع تقديم هدية خاصة للسلطان مقدارها خمسة ملايين ليرة ذهبية، وتحالف سياسي يُوقفون بموجبه حملات الدعاية السيئة التي ذاعت ضده في صحف أوربا وأمريكا. لكن السلطان رفض بشدة وطردهم من مجلسه وأصدر أمراً بمنع هجرة اليهود إلى فلسطين. عندئذ أدركت القوى المعادية ولا سيما الصهيونية العالمية أنهم أمام خصم قوي وعنيد وأنه ليس من السهولة بمكان استمالته إلى صفها ولا إغراؤه

= سلانيك مرة، وعن الآستانة مرتين، لعب دوراً مهماً في احتلال إيطاليا لليبيا نظير مبلغ من المال دفعته له إيطاليا، واضطر نتيجة لخيانته الدولة العثمانية أن يهرب إلى إيطاليا ويحصل على حقّ المواطنة الإيطالية واستقر في (تريستا) حتى مات عام ١٩٣٤م.
انظر: محمد حرب عبدالحميد ـ مقدمة مذكرات السلطان عبدالحميد ص٦ ـ ٧.

بالمال، وأنه ما دام على عرش الخلافة فإنه لا يمكن للصهيونية العالمية أن تحقق أطماعها في فلسطين، ولن يمكن للدول الأوربية أن تحقق أطماعها أيضاً في تقسيم الدولة العثمانية والسيطرة على أملاكها وإقامة دويلات لليهود والأرمن واليونان.

لذا قرروا الإطاحة به وإبعاده عن الحكم، «فاستعانوا بالقوى الشريرة التي نذرت نفسها لتمزيق ديار الإسلام، وأهمها الماسونية، والدونمة، والجمعيات السرية (الاتحاد والترقي) وحركة القومية العربية، والدعوة للقومية التركية (الطورانية). ولعب يهود الدونمة دوراً رئيساً في إشعال نار الفتن ضد السلطان»[١].

وكان من وراء الجميع وكالة المخابرات المركزية البريطانية التي كانت تُمسك الخيوط

(١) عبدالله التل - الأفعي اليهودية في معاقل الإسلام ص٨٤ - ٨٥.

جميعها»[١].

السلطان عبدالحميد والدستور:

كان مدحت باشا الذي يُسمَّى بـ(أبي الأحرار) يسعى دائماً إلى إعلان الدستور في الدولة وقد انتهى هو وحزبه الحر من إعداد القانون الأساسي وترتيب نظام مجلس (المبعوثان) أثناء مدة حكم السلطان مراد الوجيزة، وأخذ وعداً من السلطان عبدالحميد قبل توليه عرش الخلافة بإعلان الدستور ومنح القانون الأساسي[٢]. ولما تولى السلطان عرش الخلافة أصدر إرادته بتعيينه صدراً أعظم في ٤ من ذي الحجة ١٢٩٣هـ ٢١/ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٧٦م بدلاً من محمد رشيد باشا الذي استعفى من هذا المنصب بسبب تقدم سنه ووهن قواه عن مزاولة أعماله. وبعد تعيينه بأربعة أيام صدر إليه (مرسوم

(١) د. علي حسون ـ تاريخ الدولة العثمانية ص١٩٧.
(٢) انظر: محمد فريد بك المحامي ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٧٠٢ ـ ٧٠٣.

سلطاني) مرفق معه القانون الأساسي للدولة مشتمل على مائة وتسع عشرة مادة يأمره بنشر هذا القانون في جميع أنحاء الدولة، ومباشرة العمل بأحكامه من يوم نشره، وأُعلن القانون الأساسي بالآستانة، وقُرئ في مجمع حافل يوم ٧ ذي الحجة ١٢٩٣هـ/ ٢٣ كانون الأول (ديسمبر)١٨٧٦م[١].

ومالبث السلطان عبدالحميد أن عزله من منصبه في

---

(١) كان أهم ما جاء فيه: أنه ضَمِنَ لجميع رعايا الدولة الحرية والمساواة أمام القانون!! وأباح حرية التعليم مع جعله إجباريا على جميع العثمانيين، وأعطى الحرية للمطبوعات، وبيَّن اختصاصات مجلسي «المبعوثان» و«الأعيان» وكيفية الانتخاب، وقرر أن جميع الرعايا يطلق عليهم اسم «عثماني»، وأن الدين الرسمي هو دين الإسلام، واللغة الرسمية اللغة التركية، وأن الدولة جسم واحد لايمكن تفريقه أو تجزئته، كما بيَّن كيفية نظام الولايات وحدود المأمورين.
انظر: المرجع السابق ص٥٩٠ ـ ٥٩١.

٢١ محرم ١٢٩٤هـ/ ٥شباط (فبراير) ١٨٧٧م، حيث تبيَّن له أنه كان يؤيد جمعية (تركيا الفتاة) ويعمل لنشر أفكارها، وأنه كان على صلة بالانجليز. هذا بالإضافة إلى أنه كان يسعى لعزله وإعادة أخيه مراد إلى السلطة بعدما أُشيع أنه قد عُوفي، وأيضاً كان ينادي بفصل الدين عن الدولة. وأسندت الصدارة العظمى إلى أدهم باشا[١]. «واستمر اجتماع مجلس النواب العثماني إلى أن قرر السلطان بالاتحاد مع جميع أعيان الدولة وجوب إرجاء اجتماعه لأجل غير محدد لعدم ملاءمة الظروف لوجوده، وأُعلن ذلك رسمياً يوم ١٢ صفر ١٢٩٥هـ/ ١٤ فبراير ١٨٧٨م»[٢]، وعَطل السلطان الدستور بعد أن تبيَّن

---

(١) انظر: محمود شاكر - التاريخ الإسلامي جـ٣ العهد العثماني/ ص١٨٨.

(٢) محمد فريد بك المحامي - تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٦٤٧.

له أن أنصاره[١] ممن يعادي الشريعة الإسلامية، وبعد أن تيقَّن أيضاً أن غاية الدول الغربية من مطالبتها الدولة إعلان الدستور ليست هي العدالة والمساواة كما تزعم، بل غايتها القضاء على الخلافة والسلطنة وإنهاكها وتفريق شملها.

«وظل القانون الأساسي ـ تحت هذه الظروف ـ معلقاً والحياة الدستورية معطلة مدّة تزيد على ثلاثين عاماً حتى سنة ١٩٠٨م نشطت خلالها الجمعيات السرية المناهضة للسلطان خارج البلاد وعلى صفحات الصحف الأجنبية التي تدخل البلاد سراً عن طريق مكاتب البريد والقنصليات والإرساليات الأجنبية في سالونيك وغيرها من المدن القريبة من الدول الغربية، وكانت جميعها تطالب بضرورة الإصلاح»[٢].

(١) أي الدستور.
(٢) جميل المعلوف ـ تركيا الجديدة ص١٢٨.

وقد نجحت جمعية الاتحاد والترقي بوسائلها المختلفة في إلهاب عواطف الجماهير واستغلال الظروف لصالحها حتى أمكنها ضم الجيش الثالث كله إلى صفوفها في ليلة ٢٤ جمادى الآخر ١٣٢٦هـ/ ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٠٨م، وعندئذ أرسلت إلى السلطان عبدالحميد تطالبه بإعلان الدستور في ظرف أربع وعشرين ساعة وإلا تحرك الجيشان الثاني والثالث لاحتلال العاصمة. وهنا اضطر السلطان إلى إصدار الدستور في الموعد المحدد، وتمت الانتخابات، ثم افتُتِحَ البرلمان في ذي القعدة ١٣٢٦هـ/ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨م.[1]

ثم تواكبت أحداث كثيرة أخرى أدَّت إلى قيام انقلاب في ٢٣ ربيع الأول ١٣٢٧هـ/ ١٣ نيسان (أبريل) ١٩٠٩م

---

(١) انظر: أحمد السعيد سليمان ـ التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة ص٣٣ ـ ٣٤.

في عاصمة الخلافة حصل فيه اضطراب كبير، وقُتِلَ فيه بعض عساكر جمعية الاتحاد والترقي، عُرِفَ الحادث في التاريخ باسم (حادث ٣١ مارت).

وعلى إثر هذا الانقلاب زحف الجيش المرابط في سلانيك إلى الآستانة بقيادة محمود شوكت باشا (١٨٥٨م - ١٩١٣م) وانضم إليه كثير من المتطوعة معظمهم من اليهود والبلغار - الذين كونوا فرقة كاملة انضمت إلى الجيش - ودخلوا الآستانة عاصمة الخلافة وأحاطوا بقصر السلطان واتفقوا على خلعه ثم شكلت جمعية الاتحاد والترقي لجنة رباعية - يندى لها الجبين - لإبلاغ السلطان بقرار الخلع، كان أعضاؤها من اليهود واليونان والأرمن وعلى رأسهم عمانويل قره صو الماسوني الإيطالي المشهور، وقد دخلوا على السلطان عبدالحميد وأبلغوه بقرار الخلع.

«وكان قرار الخلع قد عُرِضَ على شيخ

الإسلام[(١)] [في الدولة] لتصديقه حتى يأخذ صفته القانونية، وقد صَدَّقَ الشيخ عليه وهو مُحاط بحراب البنادق»[(٢)].

وهكذا خُلِعَ السلطان عبدالحميد بعد أن حكم الدولة العثمانية أكثر من ثلاث وثلاثين سنة، استطاع خلالها أن يُؤَخِّر سقوط الدولة ثلث قرن من الزمان، وقد قَدَّمَ خلال هذه المدة خدمات جليلة للدولة العثمانية في شتى المجالات: الثقافية والتعليمية والصحية والزراعية والصناعية والإصلاحات العسكرية ووسائل الاتصال.

المرحلة الثانية: حكم الاتحاديين

الاتحاديون هم أعضاء جمعية(الاتحاد والترقي)

---

(١) هو الشيخ ضياء الدين أفندي.
(٢) د. آلماوتلين ـ عبدالحميد ظل الله على الأرض ـ ترجمة راسم رشدي ص٢٠٠.

الذين تولوا السلطة في الدولة العثمانية بعد إعلان الدستور الثاني عام ١٩٠٨م. وجمعية (الاتحاد والترقي) هي امتداد لجمعية (تركيا الفتاة) لذا فإن المؤرخين يطلقون اسم (تركيا الفتاة) على بدايات الحركة خاصة حينما كان معظم نشاطها في أوربا، ولما انتقل نشاطها إلى داخل البلاد وانضم إليها العسكريون خاصة صار يُطلق عليها اسم (الاتحاد والترقي).

ويُرجع بعض الباحثين بداية ظهور تلك الجمعية إلى عهد السلطان عبدالعزيز، حيث قامت في عهده جماعة صغيرة من الذين يُسمون «بالأحرار»، وذلك بوحي وتأثرٍ من الآراء والأفكار الغربية، وأنشأوا لهم في عام ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م مجلة في لندن باسم «حريت» ثم مالبثوا أن انضم إليهم بعض الشخصيات المرموقة أمثال: نامق كمال[1]،

(١) أديب تركي شهير، وُلد سنة ١٨٤٠م في (رودستو)، درس اللغة العربية والفارسية والفرنسية وأعجب في =

وضياء باشا[١]، ومصطفى فاضل

= شبابه بالزعيم والمفكر التركي (إبراهيم شيناسي) وانظم إلى رئاسة تحرير مجلته (تصوير أفكار) وفي سنة ١٨٦٥م أصبح مسؤولاً عن تحرير المجلة واشتهر أديباً وصحفياً سياسياً، له مؤلفات عديدة منها: (المنثور والمنظوم) و(الأوراق المبعثرة)، وتوفي عام١٨٨٨م في جزيرة (خيوس).
انظر كلاً من: أبو الحسن الندوي ـ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ص٤٨.
والموسوعة العربية الميسرة جـ٢/ص١٨١٨.

(١) من رواد الأدب التركي الحديث، ولد سنة ١٨٢٥م، ونظم الشعر باللغتين التركية والفارسية انتقل إلى أوربا سنة ١٨٦٩م وأصدر فيها مع عبدالله جودت جريدتي (المخبر) و(الحرية)، ومن آثاره الأدبية: كتاب (خرابات) ورسالة (رؤيا) و(ظفرنامه) توفي في (أطنة) في شهر آذار (مارس) ١٨٨٠م.
انظر: حسين مجيب المصري ـ تاريخ الأدب التركي ص٣٩٥ ـ ٤٠٤.

باشا[١]، وغيرهم[٢].

وفي سنة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م كَوَّنَ جماعة من طلبة المدرسة الطبية العسكرية الامبراطورية في الآستانة منظمة ثورية هدفها الواضح عزل السلطان عبدالحميد.

إن تكوين هذه الجماعة الذي يُحدِّد البداية الحقيقية لحركة (تركيا الفتاة) ضد السلطان عبد الحميد كان وراءه رجل ألباني اسمه «إبراهيم تيمو»[٣] كان قد قضى في

(١) مصطفى فاضل بن إبراهيم باشا، حفيد محمد علي باشا والي مصر، وُلد في القاهرة سنة ١٨٢٨م، تَقلَّد عدة وزارات ومأموريات عليا في الدولة العثمانية، فَقَدَ حقه في الخديوية بسبب تَغيّر النظام في وراثة عرش مصر، فأقام في باريس عام ١٨٦٧م وقَدَّم الدعم المادي والمعنوي لأعضاء جمعية (تركيا الفتاة) هناك. توفي في إستانبول عام١٨٧٥م.

Ebuzziya tevfik- yeni osmanlilar, Tarihi, s789.

(٢) انظر: د. أرنست أ. رامزور ـ تركيا الفتاة ٣٩ ـ ٤٠.

(٣) إبراهيم بن مراد تيمو، ولد في آذار (مارس) ١٨٦٥م في=

المدرسة الطبية العسكرية بضع سنوات طالباً، استطاع خلالها أن يَتعرّف عدداً من الطلاب الذين يأتلف فكرهم مع فكره. وفي رجب ١٣٠٦هـ/ آذار (مارس) ١٨٨٩م تباحث تيمو مع ثلاثة من هؤلاء الطلاب وهم: إسحاق

= بلدة «ستروغا» قرب حدود يوغسلافيا (سابقاً) مع ألبانيا، من أب ألباني الأصل، تلقى تعليمه الأولي في بلدته ثم انتقل إلى أستانبول والتحق بالمدرسة الطبية العسكرية عام ١٨٨٦م، ولما تخرج فيها بعد سنتين التحق بالكلية الطبية العسكرية وتخرج فيها طبيباً للعيون عام١٨٩٣م، هرب إلى ومانيا عام ١٨٩٥م وأصدر فيها مجلة «صدى الملة»، ولما أُعلن الدستور العثماني عام١٩٠٨م عاد إلى إستانبول وأسس فيها «الحزب العثماني الديمقراطي»، مات في «مجيدية» برومانيا في آب (أغسطس) ١٩٤٥م.

د. حسن كلشي ـ الوجه الآخر للاتحاد والترقي، ص٢٠ ـ ٥٣.

سكوتي[١]، ومحمد رشيد الشركسي، وعبدالله جودت[٢]، واقترح عليهم أن يكوّنوا جمعية وطنية

---

(١) كردي ثوري ومن المؤسسين لجمعية (تركيا الفتاة)، قبضت عليه الحكومة العثمانية سنة ١٨٩٥م ونفته إلى (رودس)، ولكنه استطاع أن يهرب منها ويفر إلى باريس، أنشأ مع عبدالله جودت صحيفة جديدة لتركيا الفتاة في جنيف سمياها (عثمانلي)، عين طبيباً عسكرياً في السفارة العثمانية في روما سنة ١٩٠٠م، وبعدها بسنتين توفي في (سان ريمو). انظر: د. أرنست أ. رامزور ـ تركيا الفتاة، الصفحات: ٥٨، ٨٢ ـ ٨٣.

(٢) ولد في (عربكير) قرب ديار بكر عام ١٨٦٩م، تَخَرَّج في المدرسة الطبية العسكرية، ثم أُبعد إلى (ليبيا) عام ١٨٩٢م بسبب أنشطته السرية، وفي عام ١٨٩٧م هرب إلى أوربا وأصدر من (جنيف) مجلته المشهورة(اجتهاد)، تبنى مبادئ إلحادية ومادية معادية للإسلام، مات في ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٢م.
Beehcet necatigih - edebiyatimizda Isimler sozlugu,s 10.

سرية. وقد أصبح هؤلاء الأربعة نواة منظمة سرعان ما جذبت إليها طلاباً آخرين. وبعد أمد قصير انظم إليهم شرف الدين مغمومي وشفيق الكريتلي وجودت عثمان وكريم سياطي وصبري الملكي وناظم السلانيكي(١) وغيرهم(٢).

وكان تنظيم الجمعية على طراز (جمعية الكاربوناري الإيطالية) التي تكوَّنت في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، من حيث طريقة معرفة الأعضاء بعضهم بعضاً، وذلك باستعمال الأرقام الكسرية، وتَتكوَّن هذه الأرقام من ترقيم كل خلية جديدة من المنظمة بإعطاء رقم لكلِ عضو في تلك الجماعة، فكان

---

(١) رجل سياسة ولد بسلانيك سنة ١٨٧٠م، درس الطب في الدولة العثمانية، ثم أكمل دراسته ١٩١٨م، أُعدِمَ عام ١٩٢٦م بأزمير بعد ظهور علاقته بمؤامرة ضد أتاتورك.
محمد حرب ـ مذكرات السلطان عبدالحميد ص١٤٠.

(٢) انظر: د. أرنست أ. رامزور ـ تركيا الفتاة ص٤٩ ـ ٥٠.

رقم الخلية أو الفرع هو المقام ورقم العضو البسط[١].

ثم انتشرت هذه الحركة في المدرسة الطبية بسرعة وامتدت إلى المدارس العالية الحكومية الأخرى في الآستانة كالكلية العسكرية، ومدرسة البيطرة، والكلية الملكية، ثم انظمّ إليها بعض الشخصيات البارزة ذات النفوذ. وفي سنة ١٨٩٤ ـ ١٨٩٥م أخذ أعضاء هذه الحركة يهربون إلى أوربا حيث تَرَكَّز معظمهم في باريس. وفي سنة ١٨٨٩م انظم إلى الجمعية في باريس أحمد رضا الذي قُدِّرَ له فيما بعد أن يصبح أشهر رجال تركيا الفتاة في أوربا.

وأصدروا صحيفة في باريس باسم «مشورت»، أصبحت فيما بعد الصحيفة الرسمية لجمعية الاتحاد

(١) ولتوضيح ذلك نقول إن العضو الخامس في الخلية السابعة كان يدخل في قائمة الجمعية برقم «٥/٧»، وكان رقم إبراهيم تيمو منشئ الحركة «١/١».
انظر: المرجع السابق ص٥٠.

والترقي[١].

وهكذا استمرت تلك الجمعية ـ عبر السنين ـ في توسيع نطاقها وزيادة تحركاتها ونشاطها إلى أن استطاعت ـ كما سبق ـ أن تُعلن الدستور وتخلع السلطان عبدالحميد من عرشه، وعندئذٍ بدأت في تحقيق أغراضها ومطامعها.

ولقد كانت القوى العالمية المعادية للإسلام والمسلمين وراء هذا الجمعية تدعمها بكل ما تستطيع، يقول السلطان عبد الحميد في مذكراته: «لابد للتاريخ يوماً أن يفصح عن ماهية الذين سموا أنفسهم (الأتراك الشبان) أو (تركيا الفتاة) وعن ماسونيتهم، استطعت أن أعرف من تحقيقاتي أنهم كلهم تقريباً من الماسون،

(١) انظر: المرجع السابق في الصفحات من ٥٣ إلى ٥٦.
وتأمل كيف يسهم الإعلام الفاسد في ضياع الدول والشعوب حيث الأيدي الخفية التي تُفسد ولا تصلح.

وأنهم منتسبون إلى المحفل الماسوني الانجليزي وكانوا يتلقون معونة مادية من هذا المحفل، ولابد للتاريخ أن يفصح عن هذه المعونات وهل كانت معونات إنسانية أم سياسية»[١].

ولم يكن في عهد السلطان عبدالحميد إلاّ محفل ماسوني واحد للأجانب، أمَّا في عهد الاتحاديين فقد أرادت الماسونية أن تنتفع من إطلاق الحريات فأُنشئت المحافل الماسونية في أنحاء الدولة، وقام الدكتور اليهودي جاك سهامي باقتباس مبادئ المشرق الأعظم الفرنسي ومبادئ المحفل الأكبر الانجليزي، وكَتَبَ أسس الماسونية باللغة التركية، وأعقبها بكتاباتٍ كثيرة عن الماسونية[٢].

---

(١) مذكرات السلطان عبدالحميد ص٤٩.

(٢) انظر: الجنرال جواد رفعت أتلخان ـ أسرار الماسونية ص٦٠.

وكانت جمعية الاتحاد والترقي تعقد اجتماعاتها في بيوت اليهود المنتمين إلى الجمعيات الماسونية الإيطالية، إذْ إنّ جنسياتهم الإيطالية تحميهم بحكم المعاهدات والامتيازات الأجنبية من الخضوع لأوامر القبض التي يُصدرها السلطان، ومن تفتيش البوليس لمنازلهم أو محاكمتهم أمام محاكم الدولة، لأن لهم محاكمهم القنصلية الخاصة. ومن ثم دأب أعضاء الاتحاد والترقي على الاحتماء بحصانة هؤلاء اليهود، فكانوا يجتمعون في بيوتهم آمنين من كل خطر، وكانوا يتلقون الإعانات المالية الوافرة من مختلف الجهات، ويتصلون اتصالاً منظماً باللاجئين السياسيين خارج البلاد[١].

لقد كانت الأدمغة الحقيقية التي لعبت الدور الأكبر في ترسيخ وتقوية تركيا الفتاة أدمغة يهودية، وقد جاءت

(١) انظر: أرمسترونج ـ الذئب الأغبر ص٢٩.

مساعداتها المالية من الدونمة الأغنياء، ومن يهود سلانيك ومن الرأسماليين العالميين في فيينا وبرلين وباريس ولندن(١).

خطة الاتحاديين في الحكم والإدارة:

تولى الاتحاديون زمام الحكم في الدولة العثمانية بعد إعلان الدستور الثاني ١٩٠٨م ولكنهم في بادئ الأمر لم يتسلموا الحكم مباشرة بالرغم من أكثريتهم البرلمانية، فلم يشتركوا في وزارة كامل باشا(٢) ـ التي تألفت بعد

(١) انظر: د. أرنست أ. رامزور ـ تركيا الفتاة ص٢٠٠.
(٢) كامل باشا القبرصي وُلد سنة ١٨٣٢م وقيل ١٨٢٦م في مدينة (لَفْقُوشَة) بقبرص انتقل إلى مصر سنة ١٨٤٧م ودرس في المدرسة العسكرية بها، وفي سنة ١٨٥١م انتقل إلى الآستانة ثم عُيِّن مديراً للأوقاف بقبرص ثم وزيراً للأوقاف ثم تولى رئاسة الوزارة في الدولة العثمانية أيام تَمرد البلغاريين، توفي سنة ١٣٣١هـ ـ ١٩١٣م بقبرص.
زكي مجاهد ـ الأعلام الشرقية جـ١/ ص٩٨ ـ ٩٩.

إعلان الدستور - إلا بوزير واحد، وذلك ليظهروا بمظهر السلطة غير المسئولة، ولكي يُديروا الأمور بالخفاء مع إلقاء مسؤولية الأخطاء على غيرهم، وقد حرصوا على وضع السلطان والصدر الأعظم تحت الرقابة الشديدة.

وكانت لجنتهم المركزية في سلانيك هي المسيطرة على الأمور مع التزامها الصفة السرية، وكان أعضاء اللجنة المركزية المعروفون لدى الناس يجتمعون يومياً بأعضاء الحكومة ويُمْلُون عليهم إرادة الجمعية، وكانت أنديتهم في الأقاليم تسير على هذا النهج نفسه إذ يُملي إرادتها على الولاة والموظفين في الولايات والأقضية، ويتدخل أفرادها في شؤون الإدارة ويطلبون إقالة الموظفين الذين لا يرغبون فيهم وإلا استصدروا الأوامر بواسطة لجنتهم المركزية بعزل كل من يعترض إرادتهم(١).

---

(١) انظر: توفيق علي برو - العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ص١١٧ - ١١٨.

وكان مؤتمرهم العام ـ الذي عُقِدَ سنة ١٩٠٨م بعد الدستور ـ قد صَوَّتَ على انتخاب أول لجنة مركزية مؤلفة من ثمانية أشخاص من بينهم: أحمد رضا بك، وأنور بك، وطلعت بك، ومدحت شكري بك، وهذه اللجنة هي التي تُقرر الخطة التي يجب السير عليها وتعمل على تنفيذها إما بالاتصال بالصدر الأعظم والوزراء، وإما بالإيعاز إلى حزبها البرلماني في المجلس الذي كان يَنوب عن الجمعية في رئاسته شخصيةٌ مرموقة من المبعوثين الاتحاديين[1].

ولما مضى أكثر من ستة أشهر على تكوين وزارة كامل باشا رأى الاتحاديون أن كامل باشا بشخصيته القوية وبعزمه على إصلاح الإدارة والقضاء على المفاسد قد تزايد نفوذه بتجمّع العناصر غير التركية حوله، فتوجسوا منه خيفةً فعملوا على الإطاحة به وبوزارته، مما جعل الفئات المعتدلة من الشعب التي كانت تُؤَيّد وزارته

(١) انظر: المرجع السابق ص١١٨.

بالإضافة إلى العناصر غير التركية من ألبان وإغريق وأرمن تقوم بمعارضتهم وبشن هجوم قوي ضدهم، وانضم إليهم المتدينون من الترك بصفة خاصة، الذين أنشئوا لأنفسهم جمعية باسم (اتحاد محمدي)[١] حيث كون هؤلاء مع المعارضين السابقين جبهة معارضة لحكم الاتحاديين، وزاد في النقمة العامة عليهم قيامهم باغتيال بعض الصحفيين المعارضين لهم[٢]، مما أدى في النهاية إلى قيام ثورة كبيرة ضدهم في عاصمة الخلافة حدث فيها اضطراب

---

(١) جمعية دينية تكونت في الآستانة، وأعلن تكوينها في ١٤ ربيع الأول ١٣٢٧هـ/ ٥ نيسان (إبريل) ١٩٠٩م بعد اجتماع ديني حاشد في جامع (أيا صوفيا)، وكان في مقدمتهم الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي، وقد أنشئت هذه الجمعية لمجابهة الجمعيات والمنظمات الماسونية في الدولة خصوصاً جميعة (الاتحاد والترقي).
انظر: على محيي الدين القره داغي ـ مقدمة كتاب (الإنسان والإيمان) لبديع الزمان سعيد النورسي ص٣٢.

(٢) أمثال: حسين فهمي، وأحمد حميم.

كبير وقُتل أناس كثيرون في ١٣ نيسان (إبريل) ١٩٠٩م المعروف بيوم ٣١ مارت ـ كما سبق الحديث عنه ـ لكن الاتحاديين سرعان ما اجتمعوا ونَظّموا صفوفهم وأعادوا حكم البلاد إلى أيديهم.

لقد تعاقب على مقام الخلافة في الدولة العثمانية أثناء حكم الاتحاديين الذي استمر عشر سنوات ثلاثة سلاطين[١]: السلطان عبد الحميد الثاني، ومحمد رشاد «الخامس» (١٨٤٤م ـ ١٩١٨م)، ومحمد وحيد الدين «السادس» (١٨٦١م ـ ١٩٢٦م)، لم يكن لهم سلطة إلا بالاسم.

ويمكن لنا أن نحدد سياسة الاتحاديين التي ساروا عليها في حكمهم للبلاد بما يلي: ـ

١ ـ الاستبداد:

لقد كان هناك ثلاثة قواد بارزين في جمعية الاتحاد والترقي تحكموا في مصير الدولة، وهم: طلعت

(١) تسعة أشهر وخمسة أيام من خلافة عبد الحميد الثاني، وطوال مدة خلافة محمد رشاد التي استمرت زهاء تسع سنوات، وبضعة أشهر من خلافة محمد وحيد الدين.

باشا[١]، وأنور باشا[٢]، وجمال باشا[٣]، وكانت

---

(١) محمد طلعت باشا، ولد بأدرنة عام ١٨٧٤م، درس القانون بسلانيك مدة من الزمن، تَقلد مناصب عديدة بالدولة العثمانية وقدم خدمات كبيرة لجمعية (تركيا الفتاة). ولما انهزمت الدولة في الحرب العظمى سنة ١٩١٨م هرب إلى المانيا حيث قتل هناك في ١٥ آذار (مارس) ١٩٢١م.
انظر: د. علي حسون ـ تاريخ الدولة العثمانية ص١٩٢.

(٢) أنور بن أحمد بك، وُلد بالآستانة عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م، تخرج في الكلية الحربية بالآستانة برتبة (رئيس) وعين في الفيلق الثالث بسلانيك، ثم عين في أركان الفيلق الثالث بمناستر وانضم هناك إلى الاتحاد والترقي، تقلد عدة مناصب عسكرية وحكم البلاد مع طلعت وجمال حتى انهزام الدولة بالحرب العظمى، حيث فَرَّ خارج البلاد وتنقل بين ألمانيا وموسكو وبرلين، قتله الروس في (سمرقند) عام١٩٢٢م.
انظر: محمود شاكر ـ التاريخ الإسلامي جـ٨ العهد العثماني/ ص٢٠٠.

(٣) أحمد جمال باشا، ولد سنة ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م، تخرج =

شعارات جمعيتهم «الاتحاد والترقي» (الحرية ـ والعدالة ـ والمؤاخاة)، ولكنهم خدعوا الأمة بهذه الشعارات حيث قضوا على الحرية باسم الحرية وعلى العدالة باسم العدالة وعلى الأخوة باسم المؤاخاة، ودأبوا على الاستبداد في الرأي والحكم فلم يقبلوا مشاركة من أحد ولا مشورة، وقاموا بالاغتيالات السياسية للمعارضين لهم، وأوقفوا الجرائد المناوئة لهم، وتلاعبوا بالانتخابات لصالحهم واستخدموا فيها كل

= في المدرسة العسكرية بالآستانة، تقلد عدة مناصب عسكرية بالدولة وصار يترقى فيها إلى أن عين وزيراً للبحرية العثمانية ورئيساً للحكومة في بلاد الشام التي اتخذها مقراً لقيادته، ولما انهزمت الدولة في الحرب العظمى هرب مع بقية الزعماء الاتحاديين خارج البلاد وتنقل بين ألمانيا وسويسرا وروسيا وأفغانستان، قتله الأرمن في (تفليس) في ٢٥ ذي القعدة ١٣٤٠هـ/ ١٩تموز (يوليو) ١٩٢٢م.

زكي مجاهد ـ الأعلام الشرقية جـ١/ ص٥٠ ـ ٥١.

ألوان الضغط والحيل والإكراه ولم يستندوا فيها على القوة المشروعة غير المسلحة (الانتخاب)، التي تَستند إليها الأحزاب السياسية عادة، بل كان منبع القوة لحزبهم عبارة عن الجيش الذي كان في عهدهم بمنزلة الآلة وقوة الظهر لسياستهم[1].

ولما ظهر (حزب الحرية والائتلاف) الذي ضم كل المعارضيين لحزب الاتحاد والترقي وفاز عليه في الانتخابات بأغلبية صوت واحد سارع الاتحاديون إلى حل البرلمان، وقبل أن يَحُلّوه مهدوا الطريق لذلك بأن قاموا بتعديل المادة (٣٥) من القانون الأساسي تعديلاً آخر غير التعديل الذي قاموا به في أول حكمهم[2].

---

(١) انظر: مصطفى صبري ـ النكير على منكري النعمة ص١١٨.
(٢) تنص هذه المادة في القانون الأساسي الأصلي الذي وضع عام ١٨٧٦م على إعطاء السلطان الحق في حل مجلس «المبعوثان» أو إقالة مجلس الوزراء في حالة خلافهما على أمر ما وإصرار الوزراء على وجهة نظرهم =

ويُصَوِّر لنا حقيقة ما كان يجري في عهد الاتحاديين الذي كان يُسمى «عهد الحرية» بعض المعاصرين لهم ممن شهدوا الأحداث بأنفسهم أمثال: الجنرال جواد رفعت أتلخان[١]، ومصطفى طوران. فيقول الأول: «في الواقع

= بعد رفضها من قبل المجلس، ثم عدلوا هذه المادة في أول حكمهم بأن قيدوا حق السلطان في حل مجلس «المبعوثان» برأي أعضاء مجلس «الأعيان»، كما حددوا بدقة شروط حل المجلس. غير أن الاتحاديين لما رأوا أن مقاليد الأمور ستؤول إلى الحزب المعارض لهم (حزب الحرية والائتلاف) ـ وهذا طبعاً في غير صالحهم ـ اتفقوا على حل المجلس وكل المادة (٣٥) من القانون لا تعطيهم الحق في ذلك، فقاموا بتعديلها مرة أخرى وذلك باعادتها إلى نصها السابق حتى يختصروا الطريق لأنفسهم، وقد عارضهم خصومهم في ذلك معارضة شديدة، ولكنهم استطاعوا أن يقوموا بذلك بالقوة. انظر: توفيق علي برو ـ العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ص٣٧٢ ـ ٣٧٣.

(١) ولد بالآستانة عام١٨٩٢م، وتَخرج ضابطاً في الكلية =

إن جمعية الاتحاد والترقي التي خلعت السلطان عبدالحميد عن عرشه هي التي أقامت الاستبداد بعد ذلك، وشهدت البلاد من المآسي مالم تشهده خلال [ثلاث] وثلاثين سنة من حكم السلطان... ولفظ مواطنون مخلصون كثيرون أنفاسهم الأخيرة على أعواد المشانق التي نُصِبَتْ في مختلف أنحاء البلاد...»[١].

= الحربية عام ١٩١٢م، ورقي إلى رتبة (جنرال) عام ١٩٢٠م، كان شجاعاً متمسكاً بإسلامه معتزاً به، عُين مديراً لمكتب (الاستخبارات العسكرية) في القيادة العامة للجيش العثماني بسوريا؛ فعمل على كشف شبكات التجسس الصهيونية وأشرف بنفسه على كشف أوكار اليهود ومحاكمة جواسيسهم وقتلهم، أسس عدة صحف منها: (الثورة الوطنية) و(المستقبل الجديد)، ومن مؤلفاته: (أسرار الماسونية) و(الجاسوسية اليهودية في فلسطين). انظر: عبدالله التل ـ الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام ص١٠٧.

(١) أسرار الماسونية ص٥٨.

ويقول الآخر مبيناً ما جرى للأمة بعد إعلان الاتحاديين للحرية: «لقد رأت أجيالنا فيما بعد أي شيء هذه الحرية، عاشت مصائب ونكبات خُنِقَ فيها البشر كالكلاب على أعواد المشانق وطُعِنَ الأبطال بالحراب في صدورهم، وشهدت الأرض التي أقسم جيشها على تحقيق الحرية حمامات الدم والإبادة الجماعية، كل ذلك كان في عهد الحرية»[١].

الدعوة إلى الجامعة الطورانية:

لقد اختلفت اتجاهات القادة الاتحاديين الثلاثة في بادئ الأمر فطلعت باشا كانت آراؤه تميل إلى فكرة الجامعة العثمانية، وأنور باشا كان يميل إلى فكرة الجامعة الإسلامية، أما جمال باشا فكان من المتحمسين لفكرة القومية التركية (الطورانية).

ولكن الفكرة الأخيرة هي التي غلبت ولذا فقد ساروا عليها في سياستهم، فَتَبَنَّوا الدعوة إلى القومية التركية،

---

(١) أسرار الانقلاب العثماني ص٥٥.

وقد حمل لواء هذه الدعوة: ضياء كوك ألب[١]، ويوسف آقشورا[٢]، وأغا أوغلي أحمد[٣]، وجلال نوري،

(١) ولد في (دياربكر) عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، تأثر في شبابه ببعض الملاحدة واليهود، انتقل إلى الآستانة عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٦م وانتخب عضواً في جمعية الاتحاد والترقي السرية، وفي عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م انتخب نائباً عن(ديار بكر) في البرلمان، دعا بكل قوة إلى سلخ تركيا من ماضيها القريب وتكوينها تكويناً قومياً خالصاً، مات في ٢٦ ربيع الأول ١٣٤٣هـ/ ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٢٤م. انظر: أبو الحسن الندوي ـ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ص٤١ وما بعدها.

(٢) من دعاة القومية الطورانية، ولد عام ١٨٧٦م في قازان (تركستان الشرقية) تخرج في المدرسة الحربية باستانبول عام ١٨٩٦م، أصدر عدة مجلات قومية، وانتخب نائباً عن استانبول في المجلس الوطني بأنقرة عام ١٩٢٣م ورئيساً للمجمع التاريخي التركي عام ١٩٣١م، توفى عام ١٩٣٣م.

Feroz Ahmad - Ltttihad ve Terakki. S272 - 273.

(٣) ولد في (تفليس) عام ١٨٦٩م، وتلقى تعليمه في آذربيجان وفي فرنسا، تعرّف في باريس على أحمد رضا =

وحمدالله صبحي[١]، والشاعر القومي محمد أمين[٢]، وغيرهم، حيث زعم هؤلاء «أن الترك هم من أقدم أمم البسيطة وأعرقها مجداً وأسبقها إلى الحضارة، وأنهم هم والجنس المغولي واحد بالأصل، ويلزم أن يعودوا

= وانتسب إلى جمعية (الاتحاد والترقي)، أصدر سنة ١٩١١م مجلة (تورك يوردي) بالاشتراك مع يوسف آقشورا، عَمِلَ على نشر القومية التركية في أنحاء الدولة العثمانية، توفي عام ١٩٣٩م. المرجع السابق ص٢٧٢.

(١) ولد في (استانبول) عام ١٨٨٥م، انتخب عضواً في البرلمان ووزيراً للمعارف عام ١٩٢٠م، وعيّن سفيراً للجمهورية التركية في (بوخارست) عام ١٩٣١م، تَبنى القومية الطورانية، واشتهر بخطبه السياسية وكتاباته الأدبية. توفي في ١٠ يونيو ١٩٦٦م. المرجع السابق: ص٢٩٦.

(٢) شاعر وأديب تركي، ولد سنة ١٨٩٦م، عمل على تقوية الشعور القومي لدى الأتراك، توفي سنة ١٩٤٤م. عبدالكريم مشهداني ـ العلمانية، ص٣٨٦.

واحداً، ويُسمون ذلك بالجامعة الطورانية ولم يقتصروا فيها على الترك الذين في سيبريا وتركستان الروس وتركستان الصين وفارس والقفقاس والأناضول والروملي، بل مبدؤهم مد هذه الرابطة إلى المغول في الصين وإلى المجر والفنلنديين في أوربا، وكل ما يقال إنه ينتمي إلى أصل طوراني، وهم يقولون: إنهم أتراك أولاً ومسلمون ثانياً»[1].

وقد اتجه الاتحاديون بسياستهم إلى تغذية هذه الفكرة التي ظهرت على شكل تيارات قوية مؤثرة، فأُلفت الجمعيات والنوادي، وأُصدرت الجرائد والمجلات، ونُظِمت القصائد وأُلقيَت الخطب، فأسس ضياء كوك ألب جمعيتين في سلانيك هما: (يني لسان) أي اللسان الجديد، و(يني حياة) أي الحياة الجديدة، ومجلتين أسبوعيتين هما: (كنج قلملر) أي الأقلام الفتية و(يني

(١) شكيب أرسلان ـ حاضر العالم الإسلامي جـ١/ ص١٥٨ ـ ١٥٩.

فلسفة) أي الفلسفة الجديدة. كما أسهم أتراك روسيا النازحون إلى استانبول في نشر هذه القومية حيث أسسوا جمعية بهذا الاسم نفسه، وسرعان ما اتحد التياران وأصبحا يعملان لغاية واحدة وهي الدعوة إلى الجامعة الطورانية(١).

«وأصبحت لفظة (طوران) من أكثر الألفاظ مثاليةً وإجلالاً، وأضحت تُستعمل للتعبير عن أسمى معانى القومية التركية وقد عَبَّرَ ضياء كوك ألب عن ذلك بهذه الكلمات «إن موطن الأتراك ليس تركيا ولا تركستان إنه أرض طوران العظيمة الخالدة». كما أعطت «خالدة أديب»(٢) هذا الاسم عنواناً لأحد مؤلفاتها الأدبية

---

(١) انظر: توفيق علي برو ـ العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ص٥٨٢.

(٢) أديبة وكاتبة تركية تنتمي إلى يهود الدونمة، ولدت عام ١٨٨٤م، وتَخرَّجت في (الأمريكان كولج) في الآستانة عام ١٩٠١م عملت أستاذة للآداب الغربية بجامعة =

الشهيرة، وكانت هناك زاوية أدبية في جريدة «طنين» تحمل اسم «مذكرات طوراني». كما أن ضياء كوك ألب كان يتغنى بطورانيته في قصيدة له قال فيها: «إن تسألني عن قومي فإن أمتي قائمة منذ خمسة آلاف سنة، وإن تسألني عن نسبي وأرومتي فنسبي للترك، إذا قطعتنا الحراب فليس لنا غنى عن وحدتنا، جئنا كلنا من صلب واحد، إذا اعتورت الخطوب دولتي فأنا لا أنسى قوميتي، يا ابن الترك لا تقل أنا أنت هو، كل هذه إن هي إلا كلمات زائلة، ويجب أن تضمحل وتتلاشى أمام اسم طوران

= استانبول عام ١٩١٨ ـ ١٩١٩م، وتعاونت مع الاتحاديين واحتلت مكاناً بارزاً في عهدهم، عُيّنت وزيرة للمعارف في عهد الكماليين، دعت إلى الطورانية وإلى تحرير المرأة ونبذ الحجاب، لها روايات كثيرة منها: (طوران الجديدة) و(قميص من نار)، ماتت سنة ١٩٦٤م.
انظر كلاً من: الموسوعة العربية الميسرة جـ١/ ص٧٤٩.
ود. محمد عمر ـ يهود الدونمة ص٤٤ ـ ٤٥.

الكبير»[١].

وقال الشاعر التركي محمد أمين: «أنا تركي... ديني سام جنسي عظيم، قلبي مملوء بالنار»[٢]. وقد غلا كثير منهم حتى قالوا: نحن أتراك فكعبتنا طوران. وتغنوا بمدائح جنكيز خان (١١٦٧م ـ ١٢٢٧م)، وأُعجبوا بفتوحات المغول، كما نَظموا الأناشيد في وصف الوقائع الجنكيزية، وطالبوا بتصفية اللغة التركية الحاضرة من الألفاظ العربية والفارسية والاعتياض عنها بألفاظ تركية مهملة[٣].

المركزية في الحكم:

اتبع الاتحاديون سياسة المركزية في الحكم، ذلك

---

(١) توفيق علي برو ـ العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ص٥٨٣ بتصرف يسير.
(٢) د. علي حسون ـ تاريخ الدولة العثمانية ص٢١٥ ـ ٢١٦.
(٣) انظر: شكيب أرسلان ـ حاضر العالم الإسلامي جـ١/ ص١٥٩.

أنهم عملوا على دمج وصهر جميع الأقليات والولايات غير التركية التابعة للدولة في بوتقة الامبراطورية، وجعلوا حكم هذه الولايات وجميع ما يتعلق بشؤونها الداخلية والخارجية في أيديهم، ولم يُتيحوا لأهلها أي فرصة للمشاركة في الحكم، بل على العكس قاموا يشدون من قبضة الحكم المركزي الاستبدادي وفرضوا سياسة التتريك، مع أن وضع الدولة التي كانت تضم مختلف الأجناس الذين تختلف لغاتهم وأديانهم وأفكارهم لايسمح بنظام الحكم المركزي، ولكنهم أصروا على سياستهم وركنوا إلى العنف والشدة بالإضافة إلى التعصب للقومية الطورانية، مما أدى إلى ظهور نتائج عكسية ـ تخدم مصالح الأعداء ـ من مختلف العناصر غير التركية ولا سيما العرب الذين تسلط عليهم الاتحاديون، وذهبت صحفهم ومنابرهم تهاجمهم وتسخر منهم حتى إن أحد وزرائهم من يهود الدونمة(جاويدبك)[1] سماهم

---

(١) من يهود الونمة ومن أقطاب الاقتصاد ومن الأعضاء =

(الجنس الأسود)، وعملوا على التضييق عليهم ومطاردتهم وتفريقهم في الأقاصي البعيدة[١]. وهذا التعسف في معاملة العرب أدى ـ بطبيعة الحال ـ إلى ظهور رد فعل عنيف من قِبَلِهم تَمثَّل في :

أ ـ إحياء القومية العربية التي كانت تُذْكِيها الدول الأوربية النصرانية بالإضافة إلى نصارى العرب.

ب ـ إنشاء الجمعيات المختلفة التي عارضت الاتحاديين ووقفت في وجوههم وطالبت ـ عموماً ـ بالمحافظة على حقوقهم وبالمساواة مع الأتراك، كما طالبت بالنظام

= البارزين في جمعية (تركيا الفتاة) ولد سنة ١٨٧٥م بسلانيك، وانتخب نائباً عنها في البرلمان العثماني سنة ١٩٠٨م، اشترك في محاولة اغتيال مصطفى كمال فَشُنق في ٢٦ آب (أغسطس) ١٩٢٦م.
انظر: د. عبدالعزيز الشناوي ـ الدولة العثمانية جـ٣/ ص١٤٢١ ـ ١٤٢٢.

(١) انظر: عبدالكريم مشهداني ـ العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية في تركيا ص١٨٨.

غيرالمركزي في الحكم الذي يُتيح لهم استقلالاً ذاتياً وقسطاً وافراً من الحكم الداخلي، مع الارتباط بالدولة خارجياً وعسكرياً ومالياً[١]. «كجمعية (الإخاء العربي العثماني) ١٩٠٨م ـ ١٣٢٦هـ والجمعية (القحطانية) ١٩٠٩م ـ ١٣٢٧هـ و(المنتـــدى الأدبـــي) ١٩٠٩م ـ ١٣٢٧هـ وجمعية (الجامعة العربية) ١٩١٠م ـ ١٣٢٨هـ وجمعية (العربية الفتاة) ١٩١١م ـ ١٣٢٩هـ) وحزب (اللامركزية العثماني) ١٩١٢م ـ ١٣٣٠هـ و(جمعية العهد) ١٩١٣ ـ ١٣٣١هـ»[٢].

موقف الاتحاديين من الإسلام:

اتسم موقف الاتحاديين من الدين بطابع عدائي، فقد حاربوا تيار الجامعة الإسلامية وعملوا على تنفيذ رغبات الماسون في القضاء على الوحدة الإسلامية، وحادوا

---

(١) وكانت بعض هذه الجمعيات متطرفة وطالبت بانفصال العرب نهائياً عن الدولة العثمانية.

(٢) المرجع السابق ص١٩٠ ـ ١٩١.

بالدولة عن الصراط المستقيم ومنهج الشرع القويم، وقاموا ـ خلسة ـ ببعض الحملات على الدين منها: ما وقع أثناء الحرب العالمية من نقلهم رابطة المحاكم الشرعية من المشيخة الإسلامية إلى الوزارة العدلية، فكانت تلك الواقعة صولة سرية على الدين. ومنها: حملاتهم الاعتراضية على كثير من الأحكام الشرعية ومطاعنهم المنتشرة على صفحات الصحف والكتب بما يَهْتِكُ حرمة الإسلام[١] وذلك مثل كتاب (قوم جديد) الذي جعلوا فيه لدينهم أركاناً لا صلاة فيها ولا صوم ولا حج[٢]...، ومنها: اضطهاد علماء الدين والبطش بهم وإدخالهم السجون[٣].

---

(١) انظر: مصطفى صبري ـ النكير على منكري النعمة ص١٤.

(٢) انظر: عبدالكريم مشهداني ـ العلمانية ص٢٠٢.

(٣) انظر: حسان علي حلاق ـ موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ص٣٢١.

وقد جَرَت عادة الاتحاديين على شن الغارة على الطائفة المسلمة المعممة[١] عند كل ثورة أو حادثة سياسية حتى إن الجيش المُجَهَّز المُنْسَاق من سلانيك عند دخوله الآستانة ـ كما ذكرنا سابقاً ـ عمم القبض على كل من لقى في شوارعها من العلماء ومتعلميهم وسَمّتهم الطائفة المعممه[٢].

وقد سَرَتْ في عهد الاتحاديين الدعوة إلى سفور المرأة ونزع الحجاب وحَمَلَ لواءها يهود الدونمة الذين كانوا على اتصال وثيق بالجهات العليا حكومة الاتحاد والترقي.

فقد دعاء هؤلاء إلى نزع الحجاب وإلى الاختلاط، وتَولَّت أجهزة الدعاية التي كانوا يمتلكونها إصدار الكتب

(١) أي التي تتزيا بالعمامة.
(٢) انظر: مصطفى صبري ـ النكير على منكري النعمة ص١٤٣ ـ ١٤٤.

والرسائل والمقالات لمهاجمة الحجاب، وأفاضوا في الكتابة عن مساوئه وزعموا أنه ليس من الإسلام وإنما انتقل من الروم إلى المسلمين، كما أخذوا يُروجون للسفور ويُكثرون من إقامة الندوات والمحاضرات العامة لكي يُتِيحُوا أكبر الفرص للاختلاط بين الشبان والشابات.

ولم يَكتفوا بهذا بل هجموا على شعائر الإسلام، فقد شنت مجلة (اجتهاد) حملةً شعواء على الدين الإسلامي للنيل منه، ووصفته بأنه دين متخلف عن ركب الحضارة والعصر[1].

الأضرار التي لحقت بالدولة في عهد الاتحاديين:

وقد لَحِقَ بالدولة ـ من جَرَّاء حكم الاتحاديين ـ مصاعب كثيرة ومضار جسيمة، حيث قامت الحرب الطرابلسية مع إيطاليا سنة ١٣٣٠هـ ـ ١٩١١م، ثم شَنَّت دول البلقان الحرب ضد الدولة سنة ١٣٣١هـ ـ ١٩١٢م، وقد عُرِفَت بحروب البلقان، ثم جاءت الحرب العالمية

(١) انظر: د. محمد عمر ـ يهود الونمة ص٣٨ ومابعدها.

الأولى التي قصمت ظهر الدولة سنة ١٣٣٣هـ ـ ١٩١٤م حيث زَجَّ الاتحاديون بالدولة في أتون الحرب بجانب ألمانيا والنمسا من غير حاجة ولا داع إلى ذلك[١]،

---

(١) وهنا استغلوا الوحدة الإسلامية التي كانت بين مسلمي العالم، فتمسحوا بحركة الجامعة الإسلامية في الشهر الأول من دخول الدولة في الحرب، فنادوا بالجامعة الإسلامية التي تبناها من قبل السلطان عبدالحميد، واستصدروا ثلاث فتاوى من الخليفة ومن شيخ الإسلام ومن كبار علماء الدين قالوا فيها: إن الحرب التي تخوضها الدولة إنما هي حرب دينية تستهدف تحرير المسلمين المستعبدين والدفاع عن الإسلام وعن الدولة وعن الأماكن المقدسة (مكة ـ والمدينة ـ والقدس) وإن المشاركة في الحرب جهاد ديني فرض عين على كل مسلم بالغ قادر، ووزعوا النشرات وأوفدوا البعثات إلى أرجاء العالم الإسلامي، ثم لما تراءى لهم النصر مع ألمانيا ضد الحلفاء في سني الحرب الأولى أيقنوا بالنصر النهائي فانقلبوا فجأة ورفعوا النقاب عن وجوههم، واستأنفوا سياستهم الطورانية ونشطوا في الدعوة إلى =

ودخلت الدولة الحرب على الرغم من معارضة السلطان محمد رشاد ومعارضة الكثير من الزعماء المسلمين من داخل البلاد العثمانية ومن خارجها واستهجنوا هذا التصرف كل الاستهجان.

ولقد فرط الاتحاديون أثناء حكمهم بكثير من أجزاء الدولة العثمانية التي كانت في عهد السلطان عبدالحميد تمتد من البصرة في العراق إلى سراي بوسنة ومن اليمن والحجاز إلى طرابلس الغرب مع مالها من الجزر الكثيرة في بحر «إيجه»، فما انتهت هذه الحروب إلا وقد أضاعوا كل الولايات العثمانية في أوربا حيث «استقلت بلغاريا، واحتلت النمسا البوسنة والهرسك وأخذت اليونان كريت، واحتلت إيطاليا ليبيا[١]».

= القومية التركية من جديد. انظر كلاً من: د. عبدالعزيز الشناوي ـ الدولة العثمانية جـ٣/ ص١٢٢٦.
ومحمد جميل بيهم ـ فلسفة التاريخ العثماني ص١٩١.

(١) لقد فَرط الاتحاديون بطرابلس الغرب(ليبيا)، ذلك أن =

= حقي باشا الصدر الأعظم في حكومة الاتحاديين ـ الذي عرف بنزعته الإيطالية ويحبه للمدنية الإيطالية وبكثرة تردده على النوادي الإيطالية بالآستانة ـ تغافل كثيراً عن الخطوات التمهيدية التي كانت تقوم بها إيطاليا من أجل احتلال ليبيا، كما أنه أخفى عن مجلس الوزراء في الدولة التقارير العديدة التي كان يرسلها إليه سفير الدولة في إيطاليا ينذره فيها بالخطر الذي كان يتوسمه من إيطاليا وتدابيرها الخفية وأعمالها المريبة التي تقوم بها من أجل احتلال ليبيا.

انظر: توفيق علي برو ـ العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ص٣٣٠ ـ ٣٣١.

ويقول الجنرال جواد رفعت أتلخان:

إن طرابلس الغرب قد وقعت بين مخالب الايطاليين بمؤامرة خبيثة دبرها الماسوني اليهودي (مترسالم) الحائز على الدرجة الثالثة والثلاثين في الماسونية، حيث ذهب إلى إيطاليا وقابل رئيس بلدية روما اليهودي ورسما الخطط اللازمة ودفعت الخزينة الإيطالية الملايين من

وبعض جزر البحر المتوسط[١].

أما الحرب العالمية الأولى التي انتهت بهزيمة تركيا مع ألمانيا والنمسا فقد كانت لها نتائج وخيمة على الدولة العثمانية حيث أهلكت الحرث والنسل وأدَّتْ إلى ضياع البلاد والعباد ودخول جيوش الحلفاء الآستانة وسيطرتهم عليها وعلى المضائق، واحتلال اليونان الأقسام الغربية من الدولة، وسلخ الولايات العربية من الدولة وتقسيمها إلى دويلات صغيرة سيطرت عليها دول الحلفاء.

وهكذا لم يكن حكم الاتحاديين فيما بين عامي ١٩٠٨ ـ ١٩١٨م إلا تحولاً خطيراً كان مقدمة للتطور الأشد

= الليرات الذهبية إلى اليهودي (متر سالم) لقاء إقناعه الدولة العثمانية بضرورة سحب الأسلحة والعتاد من طرابلس الغرب إلى استانبول بحجة التعمير والإصلاح. انظر: أسرار الماسونية ص٥٩.

(١) محمود شاكر ـ التاريخ الإسلامي جـ٨ العهد العثماني/ ص٢٢٢ ـ ٢٢٣.

خطورة الذي تم في عهد الجمهورية .

المرحلة الثالثة: إلغاء الخلافة وإعلان الجمهورية:

تولى السلطان محمد وحيد الدين عرش الخلافة سنة ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م وذلك بعد وفاة أخيه السلطان محمد رشاد، ولم تمضِ على ولايته العرش بضعة أشهر حتى أصبحت البلاد كلها نهباً للدول الغربية، وخرجت الدولة من الحرب العالمية الأولى وقد فقدت كل الأراضي التي كانت خارج شبه جزيرة الأناضول، ولم يبق لها خارج هذه الجزيرة إلا استانبول التي احتُلت أيضاً وحاصرها الأسطول الانجليزي.

وقد ازدادت في هذه الأثناء ضراوة وشراسة الصليبيين ضد العالم الإسلامي فمزقوه شر ممزق واقتسموه فيما بينهم مما كان له أثره البالغ في نفوس المسلمين عامة(١).

وفي خِضَم هذه القلاقل والأحادث السياسية أراد

---

(١) انظر: د. سمير رجب محمد ـ الداعية الإسلامي بديع الزمان سعيد النورسي ص٩.

السلطان محمد وحيد الدين بصفته خليفة المسلمين أن يُنقذ البلاد من هؤلاء المُحتلّين، فاستعان بمصطفى كمال[١] ووضع كل ثقته فيه، حيث عهد إليه سراً بأن يقوم

---

(١) ولد عام ١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م في (سلانيك) من امرأة تسمى (زبيدة)، وينسبه بعضهم إلى (علي رضا) أحد موظفي الدولة في سلانيك، تخرج في الكلية الحربية بالآستانة برتبة (رائد)، تقلد مناصب عسكرية عديدة بالدولة العثمانية، ترأس جمعية (وطن) السرية، وكان له نشاط ثوري، رقي إلى رتبة (باشا) في أوائل عام ١٩١٦م، ألغى الخلافة الإسلامية وأعلن الجمهورية التركية وطرد آل عثمان خارج البلاد، أطلق على نفسه لقب (أتاتورك: أبي الترك) في ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٤م، مرض وتعفن جسمه من إفراطه في شرب الخمر، مات سنة ١٩٣٨.
انظر كلاً من: الرجل الصنم ص٣٦ وما بعدها.
ومحمود شاكر ـ التاريخ الإسلامي جـ٨ العهد العثماني/ ص٢٩٩.

بثورة في شرق الأناضول لكي يَتسنَّى لرجال السياسة أن يُحاوروا ويُناوروا أثناء عقد الصلح[١] ليأخذوا أكثر ما يمكن أخذه من الأعداء.

ولكي يُغطي السلطان هذه الثورة عن عيون الأعداء عامة والانجليز خاصة عَيَّنَ مصطفى كمال مفتشاً عاماً لجيوش الأناضول بصلاحيات واسعة، وزَوَدهُ بمبلغ عشرين ألف ليرة عثمانية ذهبية.

ولكن مصطفى كمال خان الأمانة وغدر بالسلطان وأخذ يُسَيِّر الأمور لحسابه الخاص[٢]. وأدرك الحلفاء قصد السلطان من إرساله مصطفى كمال إلى شرق

(١) المقصود به مؤتمر الصلح الذي عقد في باريس مع قادة دول الحلفاء للتباحث حول مصير الدولة العثمانية، والذي أسفر عن معاهدة (سيفر) المشهورة التي سعت إلى القضاء على الدولة العثمانية.

(٢) انظر: محمد فريد بك المحامي ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٧٤٧ ـ ٧٤٨.

الأناضول فاحتجوا إلى الوزارة القائمة في الآستانة والتي كانت برئاسة الداماد[١] فريد باشا (١٨٥٣م ـ ١٩٢٣م)، كما احتجَّ ولاة الأناضول وشَكَوا من تصرفات مصطفى كمال والصلاحيات الواسعة التي كان يتمتع بها، فَدعَتْهُ الوزارة إلى العودة لكنه لم يُجِب، ثم تكرر الاحتجاج من قيادة الاحتلال وتمادت أصوات الشكاية من الولاة وتكررت دعوته من قبل الوزارة ولكنه لم يُجِب، وهكذا استمرت الاحتجاجات والشكايات ضده واستمر هو في عدم الإجابة، وأخيراً اضطرت الوزارة إلى إقالته، ورفض السلطان وحيد الدين التوقيع على قرار الإقالة ـ حيث لا زال يثق به ـ حتى انقطع أمله تماماً من نزوله عند طلب الوزارة، حينئذٍ وَقَّعَ ـ مكرهاً ـ على القرار[٢]، لكن مصطفى كمال لم يأبه لهذا القرار بل استمر في عصيانه وبتجميع الجيش والأهالي من حوله.

---

(١) داماد: كلمة فارسية يراد بها عادة صهر السلطان.

(٢) انظر: المرجع السابق ص٧٤٨ ـ ٧٤٩.

واشتعلت بلاد الأناضول بالحركة القومية بسرعة، وتم انتخابه رئيساً لمؤتمر (أرضروم) الذي عُقِدَ في ٢٣ تموز (يوليو) ١٩١٩م، ثم رئيساً لمؤتمر (سيواس) الذي عُقِدَ في ٤ أيلول (سبتمبر) ١٩١٩م تظاهر فيهما بالولاء للسلطان، ولكن القلاقل التي كان الحلفاء يُثيرونها على السلطان لم تتوقف وكانوا يعملون على أن يسطع نجم مصطفى كمال وأن يَظهر للناس بصورة البطل المنقذ وأن يكون مَحَطَّ آمالهم.

وهذا ما حصل بالفعل، فقد تزعم حرب الاستقلال وألهب عواطف الجماهير بخطبه الحماسية وتَعلَّقت به آمالُ كثيرٍ من الناس حتى خارج حدود تركيا.

وتتابعت الأحداث بسرعةٍ فائقة فمن مؤتمرات قومية، إلى إدارة حرب محدودة ضد جيوش الاحتلال، إلى حرب سقاريا وأزمير ضد اليونان، إلى جمعيات تناهضُ الأعداء في كل مكان، إلى تأسيس المجلس الوطني الكبير في ٢٣ نيسان (ابريل) ١٩٢٠م واختيار مصطفى كمال

رئيساً له وتكوين حكومة في أنقره من قِبَل هذا المجلس، واختيار عصمت اينونو[١] لمباحثات مؤتمر لندن سنة ١٩٢١م وعقد اتفاقية (قارص) مع روسيا سنة ١٩٢٢م، ثم الهجوم الكبير واكتساح العدو اليوناني وإخراجه من أزمير والتفاف كل قوى الشعب وطرقه الصوفية وعصاباته المسلحة حول هذا القائد المنقذ[٢] كما يسميه محبوه[٣].

---

(١) هو سياسي وقائد تركي، ولد عام ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤، تولى رئاسة أركان حرب الجيش التركي عام ١٩٢٠، كما تولى رئاسة الوزارة التركية عدة مرات فيما بين عامي ١٩٢٥ - ١٩٣٧م، وكان الساعد الأيمن لمصطفى كمال، سار على خُطاه لما تولى رئاسة الجمهورية التركية عام ١٩٣٨م، مات سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
الموسوعة العربية الميسرة، جـ١/ ص٢٩٢.

(٢) انظر: د.سمير رجب محمد ـ الداعية الإسلامي بديع الزمان سعيد النورسي ص١١ ـ ١٢.

(٣) الأبطال الحقيقيون لحرب الاستقلال ذكرهم مؤلف كتاب (الرجل الصنم) في الفصل الرابع منه، ص٢٠٩ =

ثم تأسيس حزب الشعب الجمهوري في ١٨ ربيع الثاني ١٣٤١هـ/ ٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٢م بمبادئه الستة: الجمهورية ـ القومية ـ الشعبية ـ إشراف الدولة (التدويل) ـ اللادينية ـ الثورية[١].

وهكذا قَوِيَت شوكة مصطفى كمال مما جعله يَتنكَّر للسلطان محمد وحيد الدين ويطلب منه أن يتنازل عن الحكم ويكتفي بالخلافة المجردة من السلطة، ويظل مقيماً في استانبول وتنتقل السلطة إلى المجلس الوطني في أنقرة، ولكن السلطان رفض طلبه وتنازل عن العرض نهائياً عام ١٩٢٢م ثم خلفه ابن عمه عبدالمجيد الثاني (١٨٨٩ ـ ١٩٤٤م) الذي نُودِي به خليفة للمسلمين لا ملكاً في ٢٩ ربيع الأول ١٣٤١هـ/ ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٢م، بعد موافقة المجلس الوطني الكبير على

= ومابعدها.

(١) انظر: أحمد السعيد سليمان ـ التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة ص٦٠.

ذلك[١].

وبعد ثلاثة أيام من توليه الخلافة افْتُتِح مؤتمر (لوزان) وحضره وفد أنقرة فقط، وَوضَع رئيس الوفد الانكليزي (كرزون) أربعة شروط للاعتراف باستقلال تركيا وعَلَّقَ نجاح المؤتمر على تحقيقها وهي:

١ ـ إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاءً تاماً.

٢ ـ إعلان علمانية الدولة وقطع كل صلة لها بالإسلام.

٣ ـ طرد الخليفة وجميع آل عثمان خارج الحدود ومصادرة أموالهم وأملاكهم.

٤ ـ اختيار دستور مدني بدلاً من الدستور العثماني المستمد من الشريعة الإسلامية[٢].

---

(١) انظر: محمد فريد بك المحامي ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٧٥٠.

(٢) انظر كلاً من: محمود شاكر ـ التاريخ الإسلامي جـ٣ العهد العثماني / ص٢٣٣.

ومذكرات أمين الحسيني ـ مجلة فلسطين عدد (١٤٧) =

وقد قام الكماليون ـ مصطفى كمال وأتباعه ـ بتحقيق هذه الشروط بحذافيرها بل زادوا عليها غيرها.

إعلان الجمهورية:

لقد تم إعلان الجمهورية التركية من قِبَل المجلس القومي الأعلى (المجلس النيابي) في الساعة الثامنة والنصف مساءً من يوم ٢٠ ربيع الأول ١٣٤٢هـ/ ٣٠تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٢٣م، وتم انتخاب مصطفى كمال رئيساً لها من قِبَل ١٥٨ نائباً اشترك في التصويت، وفي اليوم التالي أُطلِقَت في سماء أنقرة واستانبول وغيرها من المدن التركية [١٠١] طلقة مدفع ابتهاجاً بهذا الحدث[١].

= جمادى الأولى١٣٩٣هـ ص٧.

(١) انظر: الرجل الصنم ص٢٩٤ ـ ٢٩٥. وللاطلاع على مزيد من التفاصيل راجع كتاب (تاريخ الشعوب الإسلامية) لكارل بروكلمان ص٦٩٥، و(كمال أتاتورك) لمحمد صبيح ص١٣٠ وما بعدها.

إلغاء الخلافة الإسلامية:

كان مصطفى كمال يضمرُ في نفسه الشر للخلافة، فقد بَيَّت النيةَ لإلغائها منذ أن قويت شوكته في بلاد الأناضول، ولكنه في ذلك الوقت كان يعرف تمام المعرفة أنه لا يُمكن القيام بذلك لأن هذا الأمر من شأنه أن يَمس الشعور الديني لدى المسلمين ليس في تركيا فحسب بل في كل أنحاء العالم الإسلامي، لذا فقد مَهَّدَ لإلغاء الخلافة بأن اقترح على المجلس الوطني الفصل بين الخلافة والسلطة وذلك بأن يكون الخليفة مُجرَّد رمز ديني ليس له من الأمر شيء وتكون السلطة بيد المجلس الوطني في أنقرة، ولكن ثار أغلب النواب على هذا الاقتراح ولم يؤيده سوى ثمانين من أتباع مصطفى كمال ومؤيديه، وقد طالب مصطفى كمال المجلس بإقرار اقتراحه والعمل به، لكن المجلس أحال هذا الاقتراح إلى هيئة مكونه من لجان من «التشكيلات الأساسية والشرعية والعدل»، وقد رفضت اللجنة الشرعية الأخذ به وقالت: «إن الخلافة والسلطة

وحدة لا يمكن تجزئتها»[١].

لكن بالرغم من هذه المعارضات إلا أنه قد صدر القرار بفصل الخلافة عن السلطة في ١٢ ربيع الأول ١٣٤١هـ/ ١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٢م تحت ضغط وتهديد مصطفى كمال لمعارضيه[٢].

واستمرت الخلافة على هذا الوضع مجردة من السلطة

---

(١) انظر: المرجع السابق ص٢٥٩.

(٢) حيث صعد في المجلس على المنصة وصرخ في الحاضرين قائلاً: «إن هذا أمر محتم، إن موضوع بحثنا ليس هو هل ندع الحاكمية والسلطة للأمة أم لا؟ لأن القضية هي تسجيل أمر واقع، وهذا لابد أن يكون، إنني أرى إنه من المستحسن أن يوافق المجتمعون هنا وأعضاء المجلس وكل واحد على اعتبار أن هذه قضية طبيعية، ولكن إذا حدث العكس فإن هذا الأمر سينفذ أيضاً وفي إطار المجرى الطبيعي، ولكن من المحتمل أن بعض الرؤوس ستقطع». الرجل الصنم ص٢٥٩. وانظر: أرمسترونج ـ الذئب الأغبر ص١٩٣.

إلى عام ١٩٢٤م حيث أَجهَزَ عليها مصطفى كمال تماماً في ٢٧ رجب ١٣٤٢هـ/ ٣ آذار (مارس) ١٩٢٤م، حيث أصدر المجلس الوطني برئاسته القوانين المرقمة بـ(٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١) التي قررت ما يلي :

- إلغاء الخلافة الإسلامية وإخراج الخليفة مع جميع أفراد عائلته من البلاد.
- إلغاء وزارة الأوقاف ووزارة الشرعية .
- ربط جميع المؤسسات العلمية والدينية في تركيا بوزارة المعارف، أي إلغاء المدارس الدينية[(١)] .

وقد تم إخراج السلطان عبدالحميد الثاني من البلاد، حيث جاءت سيارة إلى قصره في منتصف الليل بصحبة حامية من رجال البوليس والجيش فحملوه في ثياب نومه واقتادوه إلى خارج الحدود، وبعد يومين حُشد جميع أمراء آل عثمان وأميراتهم ورحلوا خارج البلاد[(٢)] .

---

(١) انظر: الرجل الصنم ص٢٩٦.
(٢) انظر: كلاً من: أرمسترونج ـ الذئب الأغبر ص٢٠٠.

تتابع الإجراءات العلمانية (اللادينية):

بعد إعلان الجمهورية وإلغاء الخلافة الإسلامية وَطَرْد الخليفة العثماني استتب الأمر لمصطفى كمال وَبدأ يُنَفِّذ سياسته الدكتاتورية (الاستبدادية) التي استهدفت استئصال جذور الأمة التركية وقطع كل صلة لها بالإسلام، ثم تغريب الشعب التركي المسلم وصبغ جميع أعماله بالصبغة اللادينية بطريق الإرهاب والبطش والقسوة البالغة.

«ففي ٨ نيسان (إبريل) ١٩٢٤م أصدر المجلس الوطني قانوناً بتشكيلات المحاكم أُلغيت بموجبه المحاكم الشرعية وعُهِدَ بمهام هذه المحاكم لمحاكم الصلح والمحاكم الأصلية (المركزية)»[(١)].

= ومصطفى محمد ـ الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا ص٩٩.

(١) محمد عزت دروزة ـ تركيا الحديثة ص٧٠.

واعتُمد العمل بالقانون المدني السويسري وقانون العقوبات الإيطالي والقانون التجاري الألماني، وفي العام نفسه ١٩٢٤ «تكوَّنت لجنة من رجال القانون لتريك القانون المدني السويسري ولجنة أخرى لشرحه. وفي ٢٧ شباط (فبراير) عام ١٩٢٦م وافق المجلس الوطني على العمل بهذا القانون وأُلغي ـ منذ ذلك التاريخ ـ العمل بالشريعة الإسلامية حتى في قانون الأحوال الشخصية»(١). «وفي حزيران (يونيو) ١٩٢٥م حُرِّمت جميع الطرق الصوفية، وفي أيلول (سبتمبر) أُغلقَت زوايا الدراويش جميعاً»(٢).

---

(١) أحمد السعيد سليمان ـ التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة ص٦٣.

(٢) كارل بروكلمان ـ تاريخ الشعوب الإسلامية ص٦٩٨، وهم بمحاربتهم للصوفية يظنون أنهم يحاربون الإسلام، وما علموا أن الصوفية ليست من الإسلام في شيء، بل هي من الأسباب الرئيسية لانقلاب جيل الشباب ذلك =

وتَدَخَّل الكماليون في لباس المسلمين وزيهم الذي اعتادوا عليه ففرضوا عليهم التزيي بزي الغربيين سواء بالنسبة للرجال أو النساء، أما الرجال فقد حَرَّموا عليهم الزي الإسلامي ولم يسمحوا به إلاّ لعلماء المسلمين الذي أطلقوا عليهم اسم (رجال الدين) ولا يُسمح لهم به إلا في داخل المساجد فقط، كما حَرَّموا عليهم لبس الطربوش واستبدلوا به لبس القبعة الافرنجية، حيث أصدر المجلس الوطني قانوناً في ١٠ جمادى الأولى ١٣٤٤هـ/ ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٥م ونصه: «إن جميع أعضاء المجلس والموظفين والمستخدمين في جميع المؤسسات الرسمية والخصوصية مجبرون على اكتساء القبعة التي اكتستها الأمة، وقد أصبحت غطاء الرأس لجميع الشعب التركي، وعلى الحكومة منع كل غطاء رأس غيرها»[١].

= الوقت على الإسلام، لأنهم ظنوه الصوفية المتخلفة.

(١) محمد عزت دروزة ـ تركيا الحديثة ص٧٩.

ولقد أدى فرض القبعة إلى حرب دموية راح ضحيتها المئات بل الآلاف من المسلمين الأتراك قُطعت رقابهم وعُلِّقوا على أعواد المشانق، لرفضهم لبس القبعة والتزيي بها مما كانوا يرونه علامة من علامات الكفر. لكنها فُرضت عليهم بالقوة وأُبيدوا في محاكم الاستقلال التي أُقيمت في معظم أنحاء تركيا.

وأما المرأة فقد فُرض عليها السفور ونزع الحجاب والتشبّه بالنساء الغربيات في الاختلاط والتبذل والإباحية.

وتَدخّل الكماليون أيضاً في العلاقات الزوجية والعائلية فَحرَّموا الطلاق وتعدد الزوجات، وجعلوا نصيب المرأة في الإرث مثل نصيب الرجل، وأطلقوا لها العنان باسم الحرية والمساواة.

وفي ٢٠ جمادى الأول ١٣٤٧هـ/ ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٨م أُعلن إلغاء الأحرف العربية واستبدلت بها الأحرف اللاتينية، وأُنشئت المدارس في البلاد كلها

لتعليم الناس ـ على اختلاف أعمارهم ـ الحروف الجديدة، وفي أيلول (سبتمبر) حُذف من مناهج الكليات التعليم بالعربية والفارسية، وحُرِّم استعمال الحروف العربية لطبع المؤلفات التركية[١] وأَخَذَ قانون تركيا الحديثة يعاقب من يكتب بالحروف العربية بالسجن ثلاثة أشهر وغرامة مالية قدرها عشرة جنيهات[٢].

وفي ٢٠ شوال ١٣٤٦هـ/ ١٠ نيسان (ابريل) ١٩٢٨م أُزيلت من الدستور المادة التي تنص على أن الإسلام هو دين الدولة الرسمي، كما غُيِّر شكل اليمين الذي يحلفه أو يُقسم به رئيس الجمهورية وأعضاء الوزارة ومجلس النواب فأصبح الحلف على تأدية الواجب بالشرف بدلاً

---

(١) انظر: كارل بروكلمان ـ تاريخ الشعوب الإسلامية ص٧٠٠.

(٢) انظر: مصطفى صبري ـ موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين جـ٤/ ٣٤٦.

من الحلف بالله[١]، كما تُرِكَ العمل بالتقويم الهجري واستُبدل به التقويم الميلادي، كما مُنِعَ الحج إلى بيت الله الحرام سنوات طويلة، وأصبح المسلمون لا يستطيعون الذهاب إلى الحج إلا عن طريق الخفية، كما منع التعليم الديني وألغيت كليه الإلهيات ثم ألغيت عام ١٩٣٠م جميع المدارس والمعاهد الدينية التي كانت تخرِّج الأئمة والخطباء، وأخذ الكماليون يعملون على إبعاد كل العلوم الإسلامية وتلقين النشء الجديد بأنها من أسباب ودواعي تأخير الشعب التركي وجموده[٢]. كما أخذوا في تضييق الخناق على العلماء ومطاردتهم واضطهادهم أبشع اضطهاد.

كما غَيّروا العطلة الرسمية الأسبوعية إلى يوم الأحد ـ تيمناً بالغرب ـ بدلاً من يوم الجمعة، وفي عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م حُوّل الأذان إلى اللغة التركية،

---

(١) انظر: محمد عزت دروزة ـ تركيا الحديثة ص٢٠١.
(٢) انظر: المرجع السابق ص٧٢ ـ ٧٣.

وجُعِلَت الصلاة وقراءة القرآن باللغة التركية أيضاً.

«وقَضَت الحكومة في قسوة وعنف على كل نقد ديني لتدابيرها، وفي سنة ١٩٣١ ـ ١٩٣٢م ذهبت إلى أبعد من ذلك فحددت عدد المساجد ولم تسمح بغير واحد منها في كل دائرة من الأرض يبلغ محيطها خمسمائة متر. كذلك خفض عدد الواعظين إلى ثلاثمائة واعظ، وأُوصِدَت أبواب جامعين من أشهر جوامع استانبول في وجوه المصلين لِيُحوّل أولهما ـ أياصوفيا ـ إلى متحف، وثانيهما ـ مسجد الفاتح ـ إلى مستودع»[١].

(١) كارل بروكلمان ـ تاريخ الشعوب الإسلامية ص٦٩٨.

فهرست المحتويات